تاريخ الأقباط

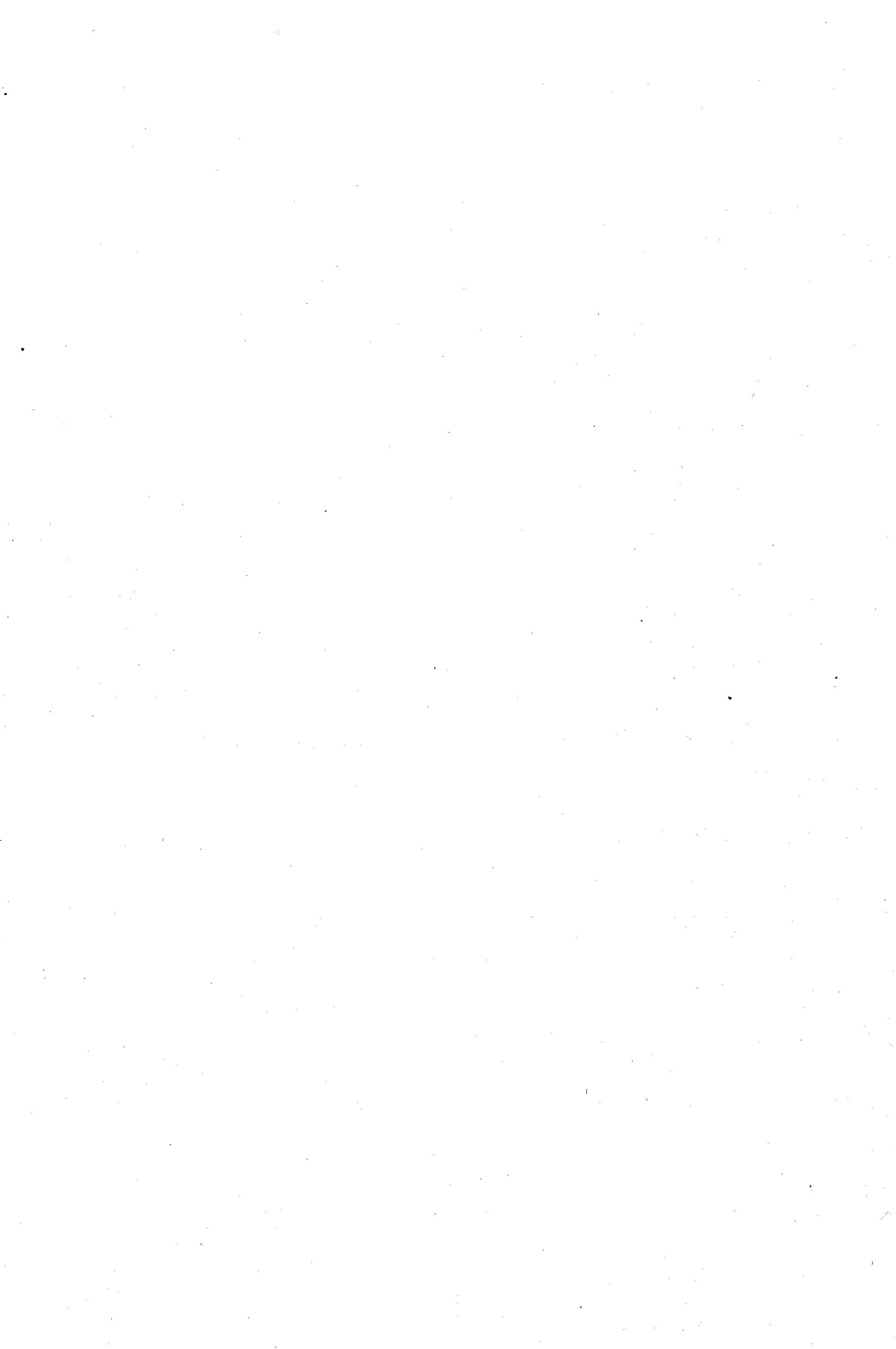
المعروف

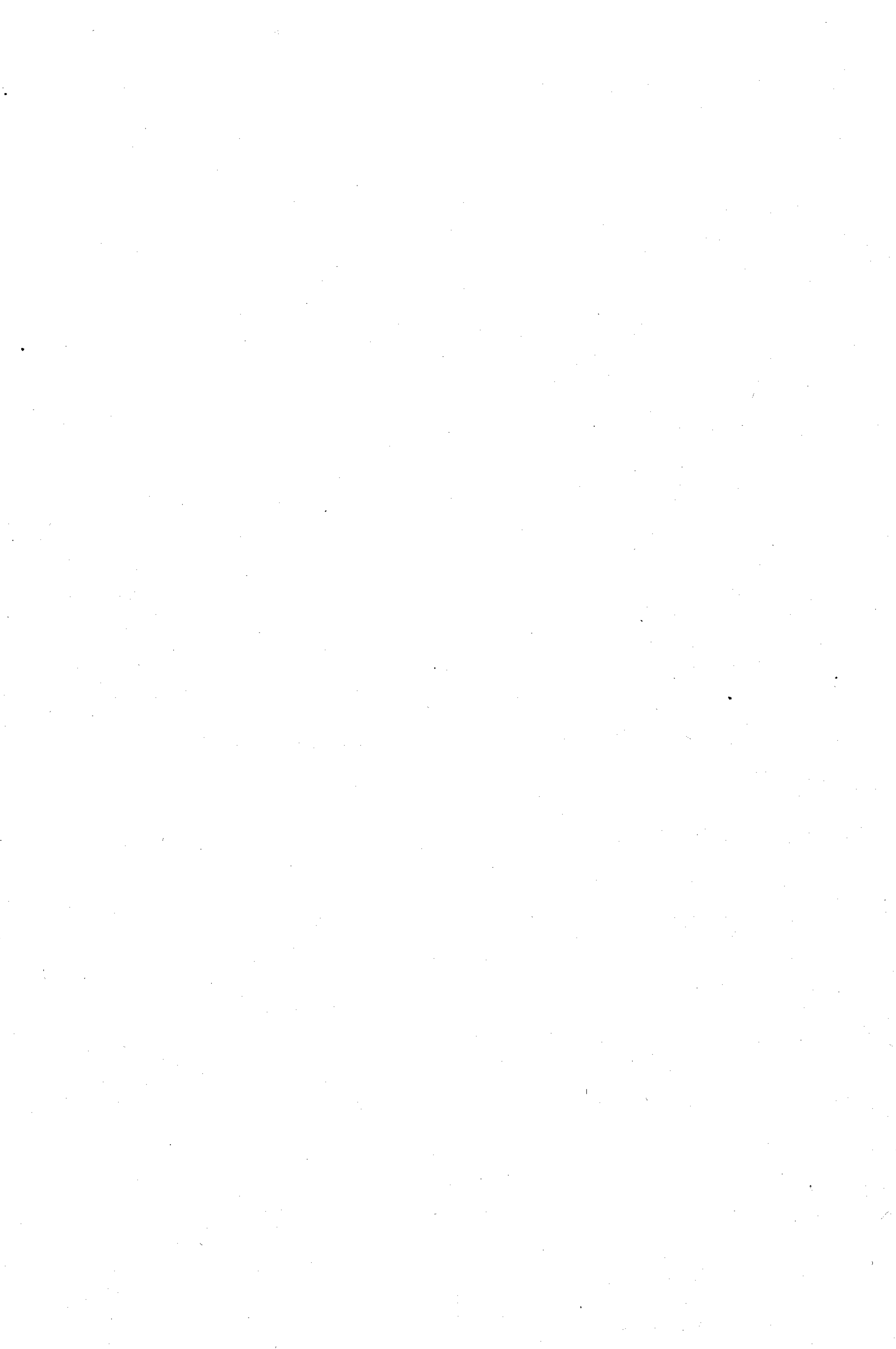
بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي

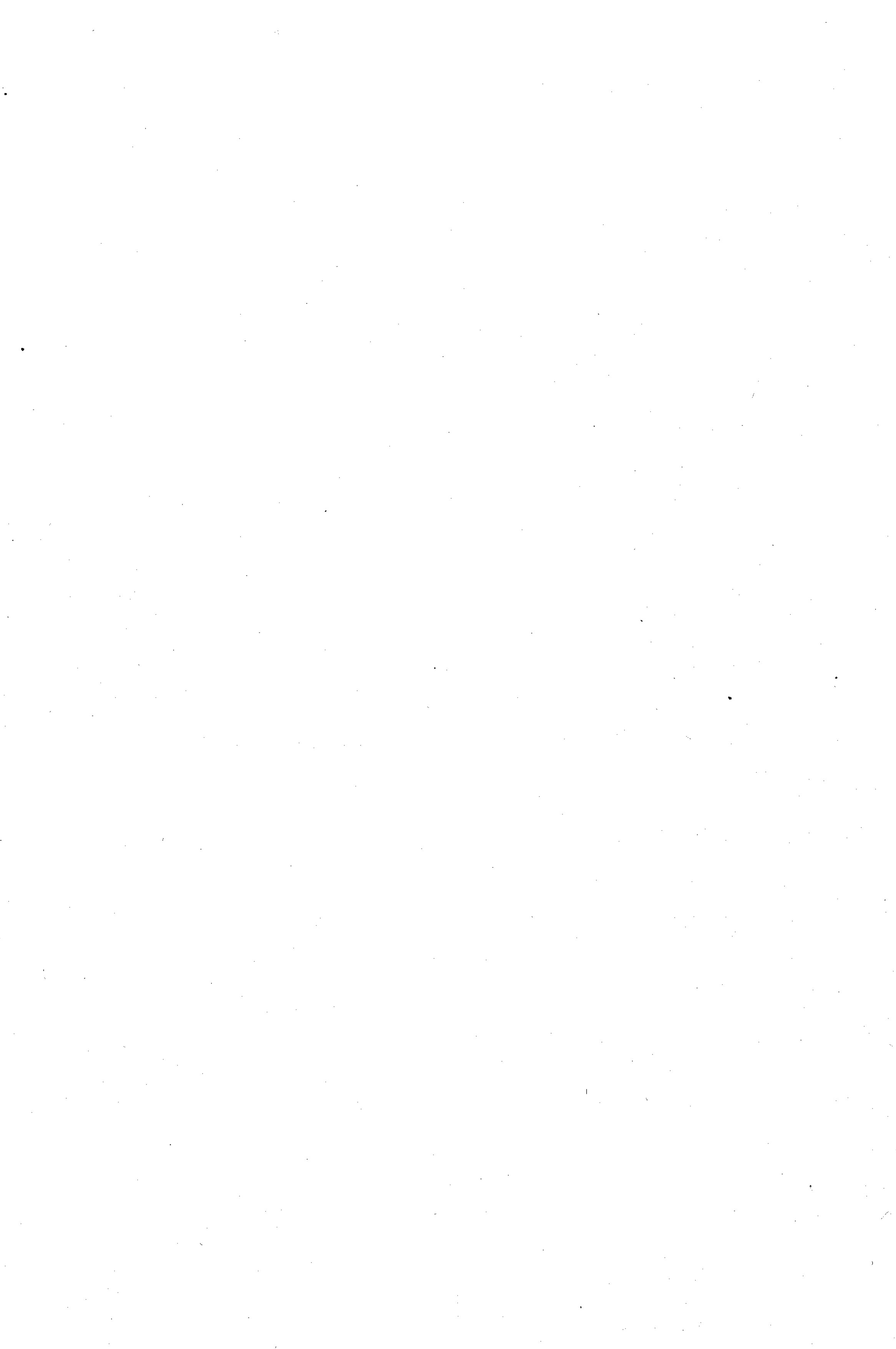
لتقي الدين المقريزي
(ت ٨٤٥هـ = ١٤٤١م)

دراسة .. وتحقيق
الدكتور/ عبد المجيد دياب

دار الفضيلة







إهداء

إلى الباحثين .. عن آثار الأقباط فى مصر .

والدّارسين .. لتاريخ الأقباط .

إلى هؤلاء .. وهؤلاء .

أقدم دراستى .. وتحقيقى .

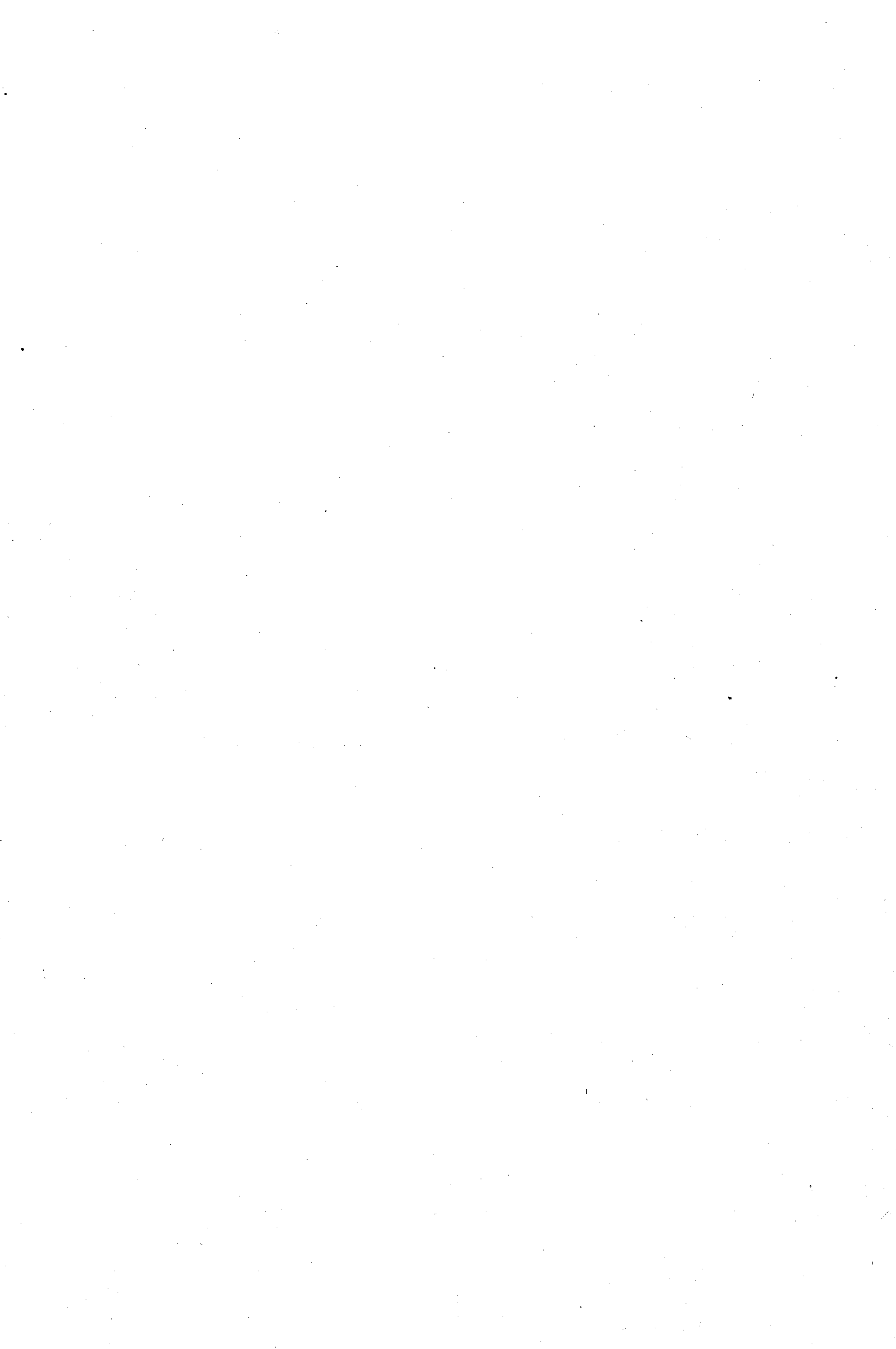
لما يقوله « المقريزى » عمدة المؤرخين .

راجياً أن ينال رضا الجميع .

فإن أصبْتُ فمن الله .

وإن أخطأتُ .. فما أردتُ إلا الخير .

الدكتور/عبد المجيد دياب



تقديم

مصر .. وطنى الحبيب . غُذيتُ بلبانها . ودرجتُ على أرضها . ونشأت فى ربوعها . وأظلَّتنى سماؤها . ونهَلْتُ من حياض علمائها .. فتربع حُبُّها فى قلبى . لكل ما فيها ومن فيها .. حبًا ملأ شغاف قلبى . كما ملأ شغاف قلب كل مصرىّ وطنىّ .. وشرفت بالكتابة عن بعض من فيها . فأشار علىّ الصديق الفاضل صاحب دار الفضيلة أن أقوم بدراسة وتحقيق ما قاله عمدة مؤرخيها المذكور فى « القول الإبريزى ، للعلامة المقريزى » عن الأقباط فى مصر الذى طبع سنة ١٨٩٨م على نفقة « جمعية التوفيق » القبطية المركزية بالقاهرة .. فقرأت الكتاب على مَهَلٍ أستشفّ ما فيه ؛ لأستبين طريقى . فرأيت أن الأستاذ مينا إسكندر المحامى عمد إلى صفحاتٍ متوالياتٍ من الجزء الثانى . صفحة (٤٨٠) إلى صفحة (٥١٩) من كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المشهور بـ « خطط المقريزى » وقدمه إلى جمعية التوفيق القبطية فطبعته فى مطابعها آنذاك .. وسماه : « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » وليس فى مؤلفات المقريزى – على كثرتها – كتاب مسمّى بهذا الاسم . ولكن هذا الاسم من وضع الأستاذ مينا إسكندر . وكان معتمده على طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م ، وقد أجمع المؤرخون ، والجغرافيون ، وسائر العلماء فى كل فن على عموم نفع خطط المقريزى . هذا .. ولو استقصى مينا إسكندر فجمع ما قاله المقريزى عن القبط خاصة فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » لأفاد الباحث والدارس كثيراً .

فقد تكلم المقريزى عن الأقباط فى مواضع عديدة من هذا الكتاب .. فتكلم عن تاريخ القبط[١]، ودقلطيانوس الذى يعرف به تاريخ القبط[٢]،

(١) الخطط ١/٢٦١ .
(٢) الخطط ١/٢٦٢ – ٢٦٩ .

وأعياد القبط ومواسمهم[1] . وعيد الشهيد[2] فقمت بجمع هذه الأمور وجعلتها لَحَقاً (ذيلا) فى آخر هذا الكتاب « القول الإبريزى » .

وليسمح لِيَ القارئ إن تجاوزت حدود « فن التحقيق » إلى الشرح ، والتحليل ، والتعليل ، والتهميش ، والتقميش ؛ فما أردت إلا الخير ، وهو استكمال واستقصاء للتحقيق لا يخلو من فائدة تعود على القارئ .

* * *

قال الأستاذ مينا إسكندر عند تقديمه لما أسماه : القول الإبريزى :

لما رأيت أبناء الأقباط قد هبُّوا من غفوتهم . والتفتوا إلى ماضى أمتهم . دفعتنى الغيرة لتنبيه الكثير منهم إلى مطالعة ما كتبه المقريزى فى كتابه الخطط عن الأقباط ، وبطاركتهم ، وكنائسهم ، ودياراتهم .. مما يلذ معرفته ، ويتعذَّر وجوده فى مؤلفات أخرى .. ولما كانت نسَخُ هذا الكتاب [أى خطط المقريزى] قليلة ، محصورة ، نادرة الوجود .. استعنت الله فى طبع ما يختص بالأقباط من هذا الكتاب فى كراسة مخصوصة ، سميتها : « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » عن الأقباط . وتم لِيَ المرغوب بمساعدة رجال التوفيق مادياً ، وأدبياً .

وأطلب من كل من طالع كراستى هذه ، أن يوسع لى عذراً .. إذ رآنى لم أقم بالتنبيه والإشارة إلى الصحيح والفاسد من أقوال المؤلف . إذ أنى لم أقصد من نشر عبارته انتقادها .. بل إيرادها فقط .

ثم يقول صفحة ٩ عندما ذكر شذرة من ترجمة المؤلف [المقريزى] :

« وتكلم [المقريزى] فيه عن الأقباط .. بما نصه بالحرف » ثم ينقل بعض ما قاله المقريزى فى خططه .

وصار لما أسماه بـ « القول الإبريزى » هذا شهرة عظيمة فى أنحاء

---

(١) الخطط ١/٢٦٤ .

(٢) الخطط ١/٦٨ - ٧٠ .

العالم آنذاك . فاعتمد عليه الأوربيون والمستشرقون والعرب عندما كتبوا عن الأقباط ، وكنائسهم ، ودياراتهم .. دون الاعتماد على خطط المقريزى .. وترجم إلى عدة لغات أوربية .

ولعلّى بسبَبٍ من شهرة هذا الكتاب « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » لم أحاول تغيير هذا الاسم فنشرته تحت هذا الاسم أيضاً ، واضِعاً أرقام صفحاته فى طبعة ١٨٩٨م – وهى الطبعة الأولى – فى هوامش الكتاب الذى بين يديك نظراً لأنها مرجع الباحثين فى الشرق والغرب . فإذا أشرت إلى أرقام صفحات فإنما أعنى بها صفحات الطبعة الأولى لكتاب « القول الإبريزى » .

لكن لما كانت طبعة بولاق التى نقل منها واعتمد عليها فيها الكثير من البياض ، والتصحيف والتحريف . أشار إلى بعضه مصححه فى مطبعة بولاق . المرحوم الشيخ قطه العدوى .. وبالتالى أشار إليها الأستاذ مينا إسكندر إذ كان أمينا فى نقل النص كما هو فى الخطط ؛ مما اضطرنى إلى الرجوع إلى مخطوطة أخرى ؛ لأعارض عليها ، هى المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت) بدار الكتب المصرية . وهى من أقدم مخطوطات خطط المقريزى إذ يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٩٨٣هـ .

ورغم حرص مينا إسكندر على نقل ما قاله المقريزى بالحرف كما يقول .. إلا أنه قد يغيب عنه جودة قراءة النص فى بعض الأحيان . فيضعه كما هو مرسوماً بين قوسين ، إشارة إلى أنه غاب عنه مراد المؤلف ، كما جاء فى صفحة ١٠ (والدوو الدهنا) وهى : « والدَّوّ ، والدَّهْناء » صحراوتان . أشرنا إليهما وإلى أماكنهما فى تحقيقنا للنص .

وقد يضع فى الفراغ الأبيض الذى أشار إليه الشيخ قطه العدوى أسماء أو حوادث أو أعداداً يظنها سليمة حسب معرفته واعتقاده .. دون أن يشير إلى ذلك ! أو يذكر لنا مصدراً رجع إليه . وقد لا يتفق ما صنعه وما جاء فى كتب التاريخ خاصة ما ذكره ساويرس بن المقفع « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » وذلك كما جاء فى صفحة ٥٠ عندما وضع « قسماً » وقد ترك الشيخ قطه العدوى مكانه بياضا وأشار إليه الشيخ قطه . وقد جاء فى تاريخ البطاركة وغيره

أنه ليس « قسماً » ولكنه « مقارة » التاسع والخمسون من البطاركة .

وفي صفحة ٤٢ بياض أشار إليه مصحح الخطط في طبعتها ، وبالتالى أشار إليه مينا إسكندر كما هو فى الخطط .. وعند الرجوع إلى المخطوطات المعارضه نجد أن الكلام متصل، وليس ثمة بياض .

وكذلك فى صفحة ٦٦ عبارة : « النطق : هو العلم ، والحكمة ، والكلمة . والعلم والحكمة والكلمة ، عبارة عن الابن » هكذا فى طبعة بولاق . وهكذا أيضاً فى القول الإبريزى .

وصوابها كما جاء فى مخطوطة طلعت : « والنطق: هو العلم ، والكلمة والحكمة .. والنطق ، والعلم ، والحكمة ، عبارة عن الابن » .

إلى غير ذلك من العبارات التى يعانى فيها محقق النص ؛ ليصل إلى حقيقة ما قاله مؤلفه .

وقد قمت بوضع علامات الترقيم ، حيث إنه كان لا ترقيم فيها ، فكانت كخطط المقريزى تماماً .. والعصر الذى طبعت فيه خطط المقريزى ، لم يتضح فيه الترقيم كما هو معروف ومدروس اليوم .

فوضعت الآباء البطاركة بين معقوفتين .. كما وضعت للحوادث والمهمات عناوين بالبنط الأسود بين معقوفتين .. فكل ما هو موضوع بين معقوفتين فمن صنعى ، لا من صنع المؤلف . وهذه سنة معروفة ومتفق عليها بين محققى النصوص ، وذلك لتنسيق النص وتوضيحه .

ووضعت فى آخر الدراسة التى قدمت بها لهذا الكتاب ثبتا ببطاركة الكنيسة المصرية فيه الرقم المسلسل للبطرك ، واسمه ، وتاريخ التقدمة ، ومدة الإقامة على الكرسى ، والملوك أو الرؤساء المعاصرون له .. منذ « مرقص الرسول » رقم (١) حتى يومنا هذا . الأنبا شنودة الثالث رقم (١١٧) البطرك الحالى . وذلك لأن المقريزى وقف بنا عند البطرك (٧٦) .

ورأيت – إتماماً للفائدة – أن ألحق بهذا النص ما ذكره المقريزى عن الأقباط فى موضوعات متكاملة .. كتأريخ القبط . ودقلطيانوس الذى يعرف به

تاريخ القبط ، وأعياد القبط عامة ، وعيد الشهيد خاصة ... إلخ .

وهذا غير الأخبار المتناثرة عن القبط فى خطط المقريزى ، وما أكثرها فإنى لم أذكرها .

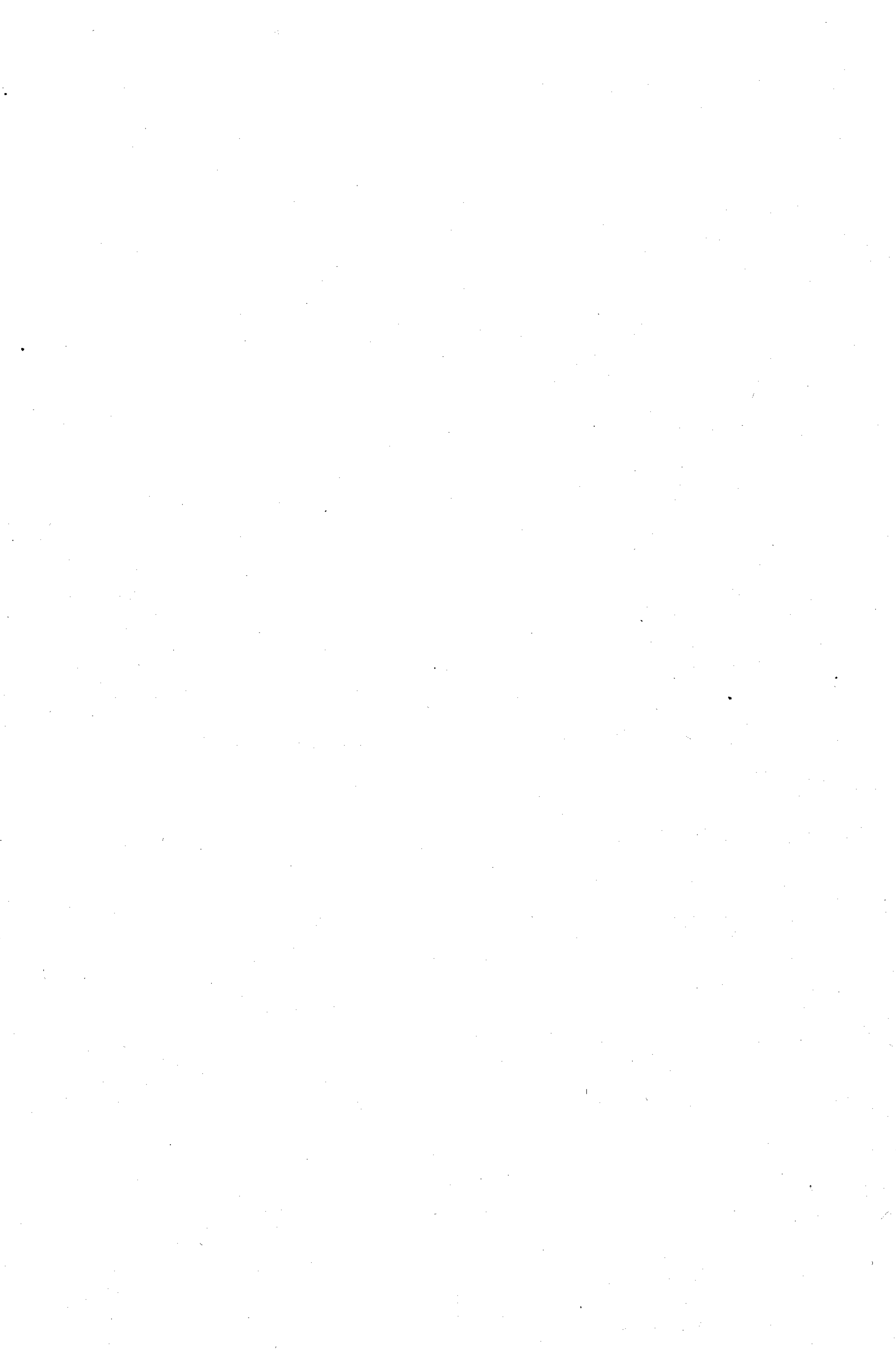
وألحقت به ثبتا ببعض الكتب التى ورد بها شىء عن الأقباط فى العربية والأوربية .

وقدمت لهذا الكتاب بمقدمة أدع الحكم عليها للقارئ .. رجعت فيها إلى مختلف المصادر التى أشرت إليها فى هوامش الدراسة والنص .

وبعد : لا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى ووافر امتنانى إلى الحاج طـه عاشور . صاحب دار الفضيلة على ما قام به من جهد مشكور فى سبيل إخراج هذا الكتاب ، والدكتور أيمن فؤاد سيد . مدير عام دار الكتب المصرية . والدكتور يواقيم رزق . مدير عام مركز وثائق وتاريخ مصر فى دار الكتب المصرية . والأستاذ رشدى أمين الطوخى . نائب رئيس مجلس إدارة « جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة » . والمهندس حمدى شندى مدير دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر . وكل من تعاون معى فى هذا الكتاب ، فإن أصبت فيما أقدمه ، فمِنَ الله .. وإن أخطأت فالخير أردت .. وعلى الله قصد السبيل .

القاهرة منيل الروضة ١٠ / ٢ / ١٤١٦هـ
٨ / ٧ / ١٩٩٥م

الدكتور عبد المجيد دياب



مصـــر والقبط[1]

يذكر قدماء المؤرخين العرب : أن « مصر » سميت باسم « مصرايم بن حام بن نوح » فهو الذى ينسب إليه اسم « مصر » مما يلى الأسرة السادسة . فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . وذلك أنه لم يكن لها اسم يخصها من قبل .. منسوب إلى أحد الأعلام من الملوك . بل إنما تعرف بأسماء مقاطعاتها التى تنقسم إليها .

ومن أولاد « مصرايم » « كفتوريم » وهو جد القفطيين الذين صعدوا إلى مصر العليا وأنشأوا مدينة « قفط » القديمة . المسماة باللغة المصرية « جبتو » . ومنه اشتق اسم مصر فى اللغة اليونانية Egyptious وأيضاً فى اللغات اللاتينية Egypt .

ولفظ « القبط » فى اللغة العربية يشير أصلًا إلى المصريين القفطيين الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى بداية البشارة به .

فالقبطى : هو المصرى القفطى المسيحى Coptos .

وهنا يجب أن ننوه إلى أن بعض علماء الآثار يظنون أن لفظ « مصر والمصريين » فى اللغة اليونانية أو اللاتينية . إنما هو مشتق من اللفظ المصرى القديم « هيكوبتاح » بمعنى : « معبد الإله بتاح » ولكنه فى الحقيقة بعيد عما هو اسم عَلَم . أو اسم مدينة .. ولكن لما تصادف وجود المقطع الأوسط فيه ، مشابها لذلك فى اللغة اللاتينية "Kopt" ألصقوه به فى الاشتقاق ، رغم اختلاف المعنى فى كليهما[2] .

ويروى ابن عبد الحكم أنها سميت باسم « مصر بن يبصر بن حام بن

---

(١) راجع ما ذكره المقريزى صفحة ١٧ - ١٨ من (نصّ) هذا الكتاب .

(٢) راجع فى ذلك كتاب (رحلة بنى إسرائيل) لغطاس عبد الملك خشبة .

نوح [1] » فإنهم ذكروا أن « مصر » هذا نزل بهذه الأرض فأنسل فيها وعمرها ، فسميت باسمه . وهو أبو القبط .

ويذكر المؤرخون الأوربيون أن مصر عرفت منذ العصر اليونانى باسم « إيجبتوس » Egeaptus فذكرت فى أشعار « هيموروس » واستعملها الإغريق والرومان قبل مولد المسيح بعدة قرون . ومن هذه الكلمة اشتقت اللغات الأوربية الكلمات التي تستخدمها إشارة إلى مصر مثل : Gupt أو Egypt أو Egypto . أو Agpten المشتقة من « إيجبتوس » اليونانية Egeatus المأخوذة من Ha - ku - ph وهو أحد أسماء « منف » العاصمة القديمة وأول مدينة عمرت بعد الطوفان . وذلك كناية عن مصر كلها [2] وتشير إلى « القبط » وهم سكان مصر الأصليون .

وسموا بـ « القبط أو الأقباط » تمييزاً لهم عن العناصر الغريبة والتى استوطنت البلاد ، واستعملت اللغة اليونانية .

وجاء فى لسان العرب ، القِبْط : جيلٌ من أهل مصر الأصليِّين . واحدهم « قِبْطيّ » ويجمع على « أقباط » و « قِبْط » .

وكان سكان مصر قبل الفتح العربى أهل كتاب ، أى مسيحيون ويهود ، والكثرة الكاثرة كانت من المسيحيين ، وعرف المصريون باسم القبط أو الأقباط . والمعروف أن كلمة « قبط » أو « أقباط » كانت لا تعنى وقت الفتح العربى مذهباً دينياً ، ولا ترادف كلمة « مسيحى مصرى » وإنما كانت تعنى أهل مصر جميعاً مسلمين ومسيحيين - على الأقل - حتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) [3] .

---

(١) راجع فى ذلك (خطط المقريزى ١/١٨ - ٢٣) ، وفتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٧ - ١٠) .

(٢) راجع (تطور علم التاريخ الإسلامى . للدكتور أحمد رمضان أحمد ص ٤٢ ، والمراجع المبينة به ، و(مصر الإسلامية وأهل الذمة للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ٢٨) .

(٣) راجع مصر الإسلامية وأهل الذمة ٨٣ .

تعاليم الإسلام عند الفتوحات

تقضى تعاليم الإسلام بأنّه إذا أراد المسلمون غزْوَ بلدٍ وجب عليهم – أوّلًا – أن يدعو أهله إلى الدخول فى الإسلام، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء. جاء فى الحديث: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتّى يقولُوا: لا إلهَ إلّا الله. فإذَا قالُوها، عصمُوا منِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقّها، وحسابهم علىٍ الله» وإن لم يُسْلِموا. دعوهم إلى أن يُسَلِّموا بلادَهم للمسلمينَ يحْكمونها، ويبقوا على دينهم إنْ شاءوا، ويدفعوا الجزْية، فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وكانوا فى ذِمَّةِ المسلمين، يحمونهم ويدافعون عنهم، ومن أجل هذا يسمون «أهل الذمّة» – وإن لم يقبلوا الإسلام، ولا الدّخولَ تحت حُكْمِه، ولا دفع الجزية، أُعْلِنَت عليهم الحرب، وقُوتلوا، وفى أثناء القتال يَحِلّ للمسلمين أن يقتُلوا المحاربين، أو مَن يُعِين على الحرب، فأما المرأة، والطّفل، والشيخ الفانى، والأعمى، والمُقْعد، ونحْوِهم فلا يجوز قَتْلهم، ما لم يكن أحدهم ذا رأى فى الحرب، يؤلِّب على المسلمين، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدُرَيْد بن الصِّمَّة. فقد قتله يوم حُنَيْن وهو شيخ كبير ضرير؛ لأنه كان يدبِّر لقومه، ويؤلِّبهم على المسلمين – وإن طلب المحاربون صلحاً أثناء الحرب أجيبوا إليه، متى رأى الإمام ذلك ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْم فَاجْنَحْ لَهَا ...**﴾ ووجب إذ ذاك تنفيذ الشروط حسب ما تعاقدوا، وإن لم يكن صلح وانتصر المسلمون وفُتِح البلد، فهناك أسرى حرب، وهناك أهل البلد المفتوح الذين لم يكونوا فى الجيش المحارب، فأما الأسرى فإنا نجد أنه ورد فيهم فى القرآن: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً** ﴾ وهى تدل على أن ليس للإمام فى الأسرى إلا أن يمنَّ عليهم ويطلقهم، أو يأخذ منهم مالًا فدية لهم، أو يفتدى الرجل المحارب بالرجل المسلم.

ولكنّا نجد من ناحية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يفعل هذين الأمرين أحياناً. وكان يقتل الأسير أحياناً، ويسترقّ أحياناً، ففى يوم بدر قتل عُقْبَة بن أبى مُعَيْط وقد أُتِىَ به أسيرًا، وقتل بنى قُرَيْظَة وقد نزلوا على حكم سعد، وفادى بجماعة من المسلمين أسارى المشركين الذين أُسِروا ببَدْر، ومَنّ على ثمامة بن أثال الحنفى وهو أسير فى يده، واسترق ذرارى بنى قريظة، واسترق نساء هوازن وذراريهم.

كل هذا جعل أئمة الفقهاء يختلفون فى حكم الأسرى. والذى يظهر أن هذه الأمور الأربعة متروكة للإمام يتصرف فى كل حالةٍ حسب ما يحيط بها من ظروف مشدَّدة أو مخفّفَة.

روى رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز قال: ما رأيت عمرَ رحمه الله قتل أسيراً إلا واحداً من الترك، كان جئ بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقّوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين، لو كنتَ رأيتَ هذا – يشير إلى أحدهم – وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم! فقال عمر: فدونك فاقتله، فقام إليه فقتله [1].

وأما أهل البلد المفتوح غير المحاربين، فالإمام مخيّر بين استرقاقهم، وتركهم أحراراً يدفعون الجزية، ولكن عمر – وإليه المرجع فى كثير من هذه المسائل – ترك أهل سواد العراق أحراراً، وفرض على كل شخص من المُوسرين فى العام ثمانية وأربعين درهماً، وعلى غير الموسرين أربعة وعشرين [2].

والذميون منذ بداية الدعوة إلى الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شبه الجزيرة العربية كانوا كثيرين من المسيحيين واليهود، ينتمون إلى أصول عربية.. ذلك أن المسيحية واليهودية انتشرتا فى اليمن

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/٢٦.

(٢) راجع فى هذا: المبسوط، والأم. وتاريخ الطبرى.

وفى بعض المواضع فى الحجاز وشمال شبه الجزيرة قبل الإسلام ، ومنذ صدر الإسلام ، وفى حياة محمد صلى الله عليه وسلم كان هناك « أهل ذمة » من عرب شبه الجزيرة مثل أهل « نجران » ومثل قبائل بكر وتغلب ، وأهل « دَوْمة الجنْدل » وأهل « أيْلَة » العقبة حالياً . والغساسِنة الذين كانوا يقيمون على حدود الشام ، والمناذِرة أو عرب « الحيرة » الذين كانوا يقيمون على حدود العراق . وكان هؤلاء العرب الذمِّيون ، أو المعاهدون يتمتعون بقسط وافر من التسامح الدينى ، كما تشهد بذلك المصادر التاريخية المختلفة ، وكما تشهد بذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يخضعون فى أحوالهم الشخصية لرؤسائهم الدينيِّين ، وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية واطمئنان ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته ، فأنا حجيجه »[1] .

ومن أمثلة العهود المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء فى عهده لنصارى نجران : « ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم ، وأنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبِيَعهم ، وكل ما تحت أيديهم ، من قليل أو كثير[2] ...» والمعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم تفرغ بعد صلح الحديبية فى السنة السادسة للهجرة (٦٢٧م) لدعوة ملوك عصره ، وأمرائه ، وقبائل العرب المسيحية واليهودية إلى الإسلام ؛ لأنه بُعِث رحمة للناس كافة ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3] فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية

(١) ذكره أبو يوسف صاحب أبى حنيفة فى كتابه (الخراج ١٤٩ ط السلفية سنة ١٣٤٦هـ) .

(٢) أبو يوسف (كتاب الخراج ٨٦ ، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله الحيدر أبادى - ٨ - وقال يحيى بن آدم : ولا أدرى ماذا أقول فيه !!

وقد روى هذا العهد ابن سعد فى كتب النبى ووفوده ، وروى البلاذرى فى فتوح البلدان نسخة ثالثة من هذا العهد . وقول يحيى بن آدم : « ولا أدرى ماذا أقول فيه » يشعر بأن عهد نجران هذا دخل فيه التدليس والله أعلم . راجع (المشرق ح ١٢ سنة ١٩١٩ ص٦٠٩ - ٦١٨) .

(٣) سورة سبأ آية : ٢٨ .

فصنع له خاتم من فضه نقش عليه «محمد رسول الله» وذلك حتى يختم به رسائله [1] وكان ممن أرسل لهم النبى عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإسلام أهل «أيلة» فى السنة السابعة للهجرة (٦٢٨م) وكانوا من النصارى.. كذلك نعرف من كتب السيرة النبوية، ومن كتب التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على رأس حملة إلى تبوك [2] من السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) وقد طلب أهلُ تبوك الصّلحَ مع الرسول عليه الصلاة والسلام بعد وصوله إليها.. وفى تبوك جاءه صاحب أيلة فأقسم للرسول يمين الطاعة. ومنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة مقابل تعهدهم بأداء الجزية سنوياً، كذلك صالح الرسول «أهلَ دوْمَة الجندل» وكانوا من النصارى أيضاً على أداء الجزية.

وفى كافة العهود: نرى الرسول عليه الصلاة والسلام منح الأمان والحرية الدينية لأهل الذمة عامة، والرهبان والقسيسين خاصة.

* * *

(١) راجع (الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م صفحة ٢/٢٣ ط القاهرة سنة ١٣٥٨هـ).

(٢) **تبوك**: واحة شمال الحجاز، قرب الحدود البيزنطية فى الشام.

العهد النبوى .. بدير سانت كترين

يحتفظ رهبان « دير سانت كترين » فى شبه جزيرة سيناء بصورة عهد ينسبونه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويعرف باسم العهد النبوى ذكر نصه فى أول كتاب « القول الإبريزى » ويذهب رهبان دير سانت كترين إلى القول بأن السلطان سليم الأول العثمانى ، عندما فتح مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م أخذه منهم ، وحمله إلى الآستانة (استنبول) وترك لهم صورة منه مع ترجمتها تركية .. وفى المخطوطات الموجودة فى المركز الرئيسى لإدارة أملاك الدير فى القاهرة[٢] عدة صور لهذا العهد النبوى الشريف باللغتين العربية والتركية[٣] وأقدم هذه النسخ هى النسخة المؤرخة فى الثالث من المحرم فى ثانى سنى الهجرة . وقد ورد هذا العهد فى أول كتاب (القول الإبريزى) ولكن غير مؤرخ وفيه الكثير من الركاكة التى لا تقبلها العربية ولا يقول مثلها رسول الله صاحب جوامع الكلم .

ونحن هنا ننكر لفظ هذا العهد وإن كان مضمونه يتفق ومبادئ الإسلام الحنيف ، وروحه ، وما جاء فى القرآن الكريم ، وما جاء فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أثر عن السنّة الشريفة .

هذا ولن أجد فى الرد على ذلك خيراً مما قاله أحد أبناء جلدتهم وهو الأب لويس شيخو اليسوعى المعروف بكتبه العديدة ونقده النزيه ، كتب

---

(١) توجد إدارة أملاك دير سانت كترين . أمام جامع الظاهر بيبرس ، فى حىّ الظاهر بالقاهرة .

(٢) بعضها منسوخ على ورق ، والبعض منها على رق .. وهناك بعض الخلافات اللفظية بين هذه النسخ كما أن بعضها باللغة العربية ، والبعض الآخر باللغة التركية .

وقد ذكر نص هذا العهد فى مجلة (روضة المعارف البيروتية العدد ١٣ السنة الأولى ٢٨٩ – ٢٩٥ وهذا العهد الذى بين أيدينا يتفق مع نص روضة المعارف فى أشياء ويختلف فى أشياء ، فيظهر أن النساخ تصرفوا فى الكتابة كيف شاءوا ، حتى لا تكاد تجد سطرين بمنطوق واحد ، وكذلك أسماء الكاتبين ، وفيها التقديم والتأخير ، والحذف والإضافة ، والتصحيف والتحريف .

بحثا طيبا نزيها عن العهود المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسأستعير قلمه فى الرد على ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من عهود ، ففيها ما ينطبق تماماً على العهد الذى بين أيدينا ونقله صاحب كتاب (القول الإبريزى) . حيث يقول :

« إن هذا العهد من الآثار المصنوعة التى لا يمكن إثباتها إلى نبىّ الإسلام ... أما الأسباب التى تحدو بنا إلى جحود هذا الأثر فهى الآتية :

أولًا : راجعنا كتاب ابن سعد فى كتب النبى ووفادته ، وهو أقدم ما ورد فى هذا المعنى ... فلم يَرْوِ أنّ محمداً كتب عهداً للملة النصرانية إجمالاً ، أو لإحدى طوائفها المعروفة فى عهْدِه كالملكية ، أو النسطورية ، أو اليعقوبية . فكفى سكوته دليلاً على أن هذا الأثر كان مجهولاً فى وقته لا يعرفه المسلمون .

ثانياً : كذلك لا ذكر لهذه العهدة فى السيرة المحمدية وأخبار الرسول التى كتبها المسلمون كابن هشام وغيره ، ولو كانت هذه العهدة صحيحة شائعة الذكر لعرفها أصحاب محمد وأنصاره ، ووقعوا عليها أسماءهم - كما يقال - لما فاتَ أمرُها أولئك الكتبة .

ثالثاً : ومثلهم المؤرخون الأقدمون كالطبرى ، وكتبة الفتوحات والمغازى كالأزدى ، والبلاذرى . وكلهم يظهرون التدقيق فيما يروون ، ويثبتون أقوالهم بالأسانيد المتواترة . فلا أحد ينوّه بميثاق أعطاه رسول الإسلام للملة النصرانية جمعاء .

رابعاً : لا ينطبق هذا العهد مع أحوال نبى الإسلام ، فإنه لما توفى ، فى السنة العاشرة للهجرة ، لم تكد العرب تخرج من حدود جزيرتهم ، فإن الفتوحات الكبيرة كالشام ، ومصر ، والعراق ، والعجم ، إنما جرت فى زمن خلفائه ، فلا يقبل العقل السليم ، والانتقاد الصادق أن محمداً يكون كتب من ذلك الحين سجل دين النصرانية « فى مشرق الأرض ، ومغربها ، وفصيحها

وأعجمها ، وقريبها وبعيدها ، ومعروفها ومجهولها » كتاباً جعله عهداً مرعياً ، وسجلاً منشوراً لكل بلاد النصرانية ، وكثير منها لم يدخلها العرب !!

خامساً : وزد عليه أن الكتب المروية عن نبى الإسلام كلها موجزة قليلة الألفاظ ، بخلاف هذا العهد الذى اتسع فيه الكاتب وفصّل تفصيلاً زادنا رَيْباً فى صحته .

سادساً : ولنا دليل آخر على عدم صحة هذا الأثر . أننا لا نجد فى معاهدات الخلفاء مع النصارى ، ولا فى براءات السلاطين إليهم ما يدل على معرفتهم بهذا الأثر الجليل ، ولو عرفوه لأشاروا إليه لا محالة ، وبنوا عليه معاهداتهم ، وما خالفوه فى مضامينه فى معاملاتهم للنصارى ، وكل ذلك ينقضه التاريخ .

سابعاً : ومن الأدلة المثبتة لقولنا . أن نسخ هذا العهد التى اطلعنا عليها مع كثرتها ، حديثة ، لا يتجاوز عهد كتابتها ثلاثمائة أو أربعمائة سنة ، ولو كان أصلها يرتقى إلى أوائل الإسلام لحفظت كأثر نبوى ، وذخيرة ثمينة فى خزائن السلاطين ، فوصفها الأثريون وصفاً مدقّقاً .

ثامناً : ويظهر من المقابلة بين النسخ الباقية إلى يومنا بأن هذا العهد مصنوع . ولبيان هذا الأمر قطعياً كان ينبغى أن نثبت هنا تلك الصّوَر المتعددة التى حصلنا عليها ، فيرى القارئ ما فيها من الاختلاف ، إلا أن هذا يطول بنا ، ويقتضى صفحات عديدة من المجلة ، فنكتفى بإيراد مقاطيع من بعضها ، دلالة على قولنا . فمن هذه العهود عهد وجدناه فى بعض مخطوطات مكتبتنا ، قيل فى آخره إنه خط عن إحدى النسخ الثلاث « التى كتبها علىّ بن أبى طالب بإملاء محمد الرسول سنة اثنتين للهجرة » وإحدى النسخ فى خزائن السلطان والثانية بدير الطور (دير سانت كترين ، وهو العهد الذى بين يديك) والثالثة فى أيدى رهبان جبل الزيتون فهذا أوله . ثم يذكر نص العهد وهو يختلف .

ثم يقول لويس شيخوا : ومن المحتمل أن رهبان طور سيناء كانوا أول من أخذ عهداً من نبى الإسلام؛ لما أدّوه لقومه من الخدم فى بعض غزواتهم . ومما يُخْبَر أن السلطان سليمان بعد فتح مصر وجزيرة العرب وقف على عهد بالكوفية ، زعم الرهبان أنه من محمد ، فاستوهبه منهم ، ووضعه فى خزانة السلاطين العظام ، لا يعرف من أمره شيئاً . وفى مكتبة الأقباط فى مصر نسخة من هذا الأثر تقرب من العهود التى وصفناها لكنها أقصر منها [١] . وفى آخرها يقال أنها « كتبت بيد علىّ بن أبى طالب فى ٣ محرم السنة الثانية للهجرة . الموافقة لأول آب سنة ٦٢٢» وكفى بذلك دليلاً على اصطناعها [٢] .

ونحن نقول : صنع خاتم للنبى صلى الله عليه وسلم منذ السنة الثانية للهجرة كما ذكر ابن سعد ، فكانت تختم به مكاتباته .. فما له يبصم فى هذا العهد (!!) .

والبصمة لم تعرف ولم يتعامل بها فى مثل هذا التاريخ ، وأول تصنيفات عملية لبصمات الأصابع قام بها سيرفرنسيس جالتن ، وجوان فوتشتسن سنة ١٨٩١م [٣] .

ولو ذكر جامع « القول الإبريزى » بعض الأحاديث التى رواها ابن عبد الحكم فى كتابه « فتوح مصر » بسندها ، لكان أولى له من عهد يحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى ابن عبد الحكم بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فتحتم مصر ، فاستوْصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحما » إذ

---

(١) وثائق بطركية الأقباط الأرثوذكس المحفوظة بالبطريركية القديمة (الكنيسة المرقسية) بشارع كلوت بك . رقم ٦١ تاريخ .

(٢) راجع (المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٠٩ - ٦١٨ و ٦٧٤ - ٦٨٢) وروضة المعارف البيروتية العدد ١٣ السنة الأولى ص ٢٨٩ - ٢٩٥) .

(٣) (الموسوعة العربية الميسرة) .

كانت هاجر زوج سيدنا إبراهيم وأم ولده إسماعيل مصرية ، كما كانت مارية القبطية زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأم ولده إبراهيم منهم أيضاً .

وروى عن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم » .

لو روى مثل هذه الأحاديث بسندها كما فعل ابن عبد الحكم لكان أولى له من عهد هو نفسه يشك فى صحته فيقول : « نشر العهد الشريف المنسوب إلى النبى » وليس لهذا العهد أثر عند ابن عبد الحكم ولا عند غيره من المؤرخين القدماء .

* * *

عهد الإمام الخليفة عُمَر بن الخطّاب

هذا العهد ذُكِر نصّه فى أول كتاب « القول الإبريزى » الذى نقدم له مَعْزُوًّا إلى عمر بن الخطاب ونسب ذِكْرَه إلى « المقريزى » .

ولكنْ لم يذكر المقريزى نصَّ العهد العمرى هذا .. وإنما قال فى كتابه (الخطط ٢/٤٩٢ ما نصه :

« ويذكر علماءُ الأخبار من النصارى . أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أماناً على أنفسهم ، وأولادهم ، ونسائهم ، وأموالهم ، وجميع كنائسهم ، لا تهدم ، ولا تسكن ...» .

ولم نجد لهذا العهد نصًّا مذكورًا عند قدماء المؤرخين العرب ، أو غير العرب . ويذكر سعيد بن البطريق (٨٧٧ - ٩٤١م) أقدم مؤرخ للأقباط بعد الفتح الإسلامى . وهو بطريرك الملكية فى مصر . يقول فى كتابه : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . تأليف البطرك : أفتيشيوس . المكنى بسعيد بن البطريق[1] » .

يذكر : « لما فتح العرب الشام واتصل بالمسلمين قدوم عمر بن الخطاب تلقّاه قادةُ العرَب فى الشّام وكانوا إذْ ذَاك : أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعَمْرو بن العاص .. ثم ساروا جميعاً إلى بيت المقدس ، فحاصروها ، فخرج « صفرونيوس » بطرك بيت المقدس إلى عُمَر بن الخطاب ، فأعطاه عُمَر بن الخطاب أماناً وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

---

(١) طبع فى بيروت . بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥.
وانظر ما كتبه الأستاذ حبيب الزيات - من طائفة الروم الكاثوليك - فى مجلة المشرق ٤٣ ص ١٦١ - ٢٥٢ سنة ١٩٤٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل مدينة « إيليّا » :

« إنهم آمنون على دمائهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، ألا تسكن ولا تهدم » وأشهد شهوداً ، وفتح له باب المدينة ، فدخل المدينة هو وأصحابه ...»[1] .

فأنت ترى أن هذا هو ما ذكره المقريزى فى الخطط .. أما النص الذى ذكره صاحب « القول الإبريزى » فكما تناقل النصارى عهوداً زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أَمّنَ بها من استأْمنه منهم ، كذلك أشاعوا عهوداً للخلفاء الراشدين كتبوها على زعمهم للنّصارى ، وليست أثبت من العهود التى زعموا أنها لرسول الله صِحّةً .. ولم يذكر الطبرى ، ولا ابن عبد الحكم ، ولا غيرهما من قدماء المؤرخين معاهدة زعموا أن الخليفة عمر أعطاها لـ « صفرونيوس » بطريرك بيت المقدس .

ومن هذا العهد عدة نسخ مخطوطة . أقدمها نسخة الآستانة التى قابلنا عليها النص الذى بين يديك مع ما نقله الأب لويس شيخو[2] .

وكل من له إلمام بتاريخ الخلفاء ، وأدْنَى معرفة بعاداتهم وكتاباتهم الرسمية ، ينكر لا محالة صحة هذا النص ، ولو تتبعناه سطراً سطراً وعبارة عبارة لأمكن بيان تزوير صاحبه .

وأقل ما يجوز اليوم أن يقال فى العهود المحمولة على عمر بن الخطاب ودس فيها الزور والباطل ، أنها وضعت بعد الصدر الأول من الإسلام ونسبت مغالطة لثانى الخلفاء الراشدين ؛ ليكون لها بفضل التلقب باسمه

---

(١) تاريخ ابن البطريق ١٧/٢ .

(٢) المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٧٩ .

أصل راسخ فى السنة ، وتكتسب مزية الانتماء إلى سلطة لا تعادلها سلطة أخرى بعد الشارع الأول .

ومن تدبر هذه الشروط بعين الناقد البصير ، وتذكر موقف الإمام الذى قاد أول خطى الإسلام ، وشهد أعظم الفتوح التى غيرت وجه البسيطة ، ونهضت بالعرب من الثرى إلى الثريا ، يدرك لأول وهلة استحالة نسبة هذا العهد إلى ابن الخطاب .

والعهد العمرى الذى وضعه مينا إسكندر فى أول « القول الإبريزى ، للعلامة المقريزى » موضوع برمته لا يصدق على عمر .

* * *

وإذا قلبنا النظر فى آيات القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، والسنة الشريفة بخصوص موقف الإسلام من أهل الذمة لخرجنا بأن الإسلام ينص صراحة على معاملة أهل الذمة معاملة حسنة طيبة ، عادلة ، وعلى عدم التضييق عليهم فى عقائدهم ، وعدم اضطهادهم ، أو إرغامهم على ترك دينهم . وقد بينا شيئاً من ذلك فى صدر هذه الدراسة .

* * *

فتـــح مصـــر

ارتبط ظهور الإسلام بنشْأةِ الدولة العربية الإسلامية ، التي وضع الرسولُ صلى الله عليه وسلم نواتها فى المدينة المنورة ، والتى أشرفت على توحيد شبه الجزيرة العربية ، بعد أن كانت قبائل ودوَيْلات متفرقة ، وحين وصلت الجيوش العربية الإسلامية إلى شمال شبه الجزيرة العربية اصطدمت بقوات الفرس ، والروم ، اللّذَيْن كانا يسيطران على العرب فى تلك النواحى . ولم يتخاذل الخلفاء ، ولم تتراجع الجيوشُ الإسلامية ، بل خاضوا حرباً ضروساً ضد الدَّولتين العظيمتين حينذاك : دولة الأكاسرة (الفرس) ودولة القياصرة (الروم البيزنطيين) وأصر الفرس والروم على القتال ، حتى يقضوا على الدولة العربية الإسلامية الناشئة ، لكن العرب حاربوا بحماس شديد ، حتى اتسعت رقعة القتال وسيطروا على الأكاسرة ، وانتزعوا الشام من القياصرة .. ثم فكّر العرب فى فتح مصر لتأمين فتح الشّام ، ولمقاومة الروم الذين كانوا يحتلونها .

وكانت مصر قبيل قدوم العرب إليها ، ولاية بيزنطية . ونعرف أن الأباطرة البيزنطيين لم يدّخروا وُسْعاً فى الحصول على أكثر ما يمكن من الضرائب التى كان يقع عبؤها على المصريين دون غيرهم ممن كانوا يقيمون فى مصر ، وكان يعامَل الشعب المصرى بوجه عام معاملة المغلوب على أمره ، فلم يكن له حق الاشتراك فى حكم بلاده أو فى جيش بلاده ، ولم تكن اللغة المصرية هى اللغة الرسمية ، وإنما كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية للحكومة منذ عهد البطالسة حتى الفتح العربى .

وكانت المسائل الدينية قبيل الفتح العربى هى مشكلة المشاكل آنذاك ، والمعروف أن مصر كانت فى طليعة البلاد التى تسربت إليها المسيحية فى القرن الأول الميلادى . وأخذت فى الانتشار تدريجياً فى جميع أنحاء مصر

منذ القرن الثانى الميلادى. إلا أن الأباطرة الوثنيين ناصبوا المسيحيين العداء، وظلت المسيحية في مصر تلقى اضطهاداً كبيراً وتسامحاً قليلًا .. إلى أن ولىَ عرش الإمبراطورية الإمبراطور «دقلديانوس Dioclettanus (٢٨٤ - ٣٠٥م) فبلغ فى عهده اضطهاد المسيحيين أقصاه. وقد قابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بقوة وإصرار. وبدأت الكنيسة المصرية تقويمها الذى سمته «تقويم الشهداء» بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس (٢٨٤م) نتيجة لما ترك هذا الاضطهاد من أثر عظيم فى نفوس الأقباط.

وحينما اعترف الأباطرة بالدين المسيحى منذ بداية القرن الرابع الميلادى، لم تخِفّ المشكلة الدينية، بل زادت تعقيداً. إذ تدخّل الأباطرة فى المنازعات التى قامت بين المسيحيين حول طبيعة المسيح وصِفَتِه، وعقدوا من أجل ذلك المجامع الدينية، وبلغ ذلك النزاع الدينى بين كنيستى الإسكندرية والقسطنطينية أو (بيزنطة) مداه، منذ حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، عندما عقد الإمبراطور البيزنطى من أجل ذلك مجمعاً دينياً فى «خلقدونية» بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م وقد أقر هذا المجمع ما ذهبت إليه كنيسة القسطنطينية. وقرر أن مذهب الكنيسة المصرية كفر وخروج على الدين الصحيح! وسترى ذلك بشىء من التفصيل خلال قراءتك لنص هذا الكتاب ولم يقبل بطرك الإسكندرية، ولا مسيحيو مصر ما أقره مجمع «خلقدونية» وأطلقوا على أنفسهم «الأرثوذكس» وهى كلمة يونانية معناها: أتباع الديانة الصحيحة. ولا زال سواد القبط فى مصر يعرفون بهذا الاسم إلى يومنا هذا. أما أتباع الكنيسة البيزنطية فقد عرفوا بعد الفتح العربى باسم «الملكانيين» وذلك لاتباعهم مذهب الملك أو الإمبراطور، وقد أطلق مسيحيو الشرق على الأقباط الأرثوذكس أيضاً اسم «اليعاقبة» كما أطلقوا على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اسم «الكنيسة اليعقوبية» وذلك نسبة إلى يعقوب البرادعى أسقف مدينة الرها (أورفا الحالية فى تركيا) الذى زار مصر ضمن بلاد الشرق التى زارها لتنظيم الكنائس

المنوفيزتية - أى القائلة بمذهب الطبيعة الواحدة . ولكن يظهر من الحوليات المصرية أن الأقباط لم يطلقوا على أنفسهم اسم « يعاقبة » .

وقد قابل المصريون الاضطهاد البيزنطى بالمقاومة الإيجابية أحياناً . ولكن الغالبية من الشعب لجأت إلى المقاومة السلبية ، وذلك بالفرار إلى الأديرة والمعابد . وأسند هرقل الرئاسة الدينية والسياسية لـ« قيروس » المعروف عند مؤرخى العرب باسم « المقوقس » وقبل أن يصل المقوقس إلى الإسكندرية سنة ٦٣١م هرب بطرك الأقباط « بنيامين » توقعاً لما سيحل به وبطائفته من الشدائد من جراء فرض المذهب الجديد . وكان اضطهاد المقوقس (قيروس) للمصريين عظيماً فاق كل اضطهاد . وبذلك تمهد السبيل لفتح مصر على يد ناشئة قوية . تلك هى دولة العرب المسلمين الذين لم ير بعض الأقباط فيهم - إذ ذاك - إلا مذهباً جديداً واضحاً من مذاهب المسيحية ، وليس خروجاً من دين إلى دين ، وأخذ المصريون لهذا الحدث الكبير ، وهو الانتقال من أيدى البيزنطيين . إلى أيدى العرب . والثابت فى المصادر القديمة أن فريقاً من الأقباط ساعدوا الجيش العربى فى العمليات الحربية ضد البيزنطيين ووقف فريق آخر موقف الحياد .

وكانت مصر مهد المدنية القديمة ، والوارثة لحضارة قدماء المصريين ، واليونانيين ، والرومانيين .. وفيها الإسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية ، وملتقى الآراء الشرقية والغربية ، كان يسكنها المصريون ، ومزيج من أمم أخرى كاليونان والرومان .

وحين فتح العرب مصر كان شعبها توّاقاً للتخلص من نير الروم ومن الظلم المالى والاجتماعى والدينى الذى كان يعانيه تحت حكم الروم ، وفتحت مصر على يد عَمْرو بن العاص ، الذى سار إليها من الشام سنة ١٨هـ / ٦٣٩م فى خلافة عُمَر بن الخطاب ، واستطاع عمْرو أن يستخلصها من الروم سنة ٢١هـ / ٦٤٢م ثم سار غرباً إلى برقة وطرابلس ، فانتزعهما من الروم ؛ ليؤمِّن حدودَ مصر الغربية ، واستمر نضال

المسلمين ضدَّ الروم برًا ، وبحراً ، طوال العصر الإسلامى كله .

وكانت مصر ضمن البلاد التى سيطر المسلمون عليها ، والتى امتدت فى زمن بنى أمية إلى الهند والصين شرقاً ، وإلى المحيط الأطلسى غرباً ، وإلى البحر الأبيض ، والبحر الأسود ، وجبال البرانس شمالًا .. وإلى بحر العرب ، والمحيط الهندى وصحارى السودان جنوباً .. ولم يرتبط اتساع الدولة العربية الإسلامية بسفك الدماء ، والعنف ، والوحشية ، أو التخريب ، وامتصاص أموال البلاد ، وإهمال مرافقها . بل عرف العرب بالتسامح ، والعدل ، والإصلاح .

وحين خرج العرب من جزيرتهم، وجدوا حضارات عريقة ، ووجدوا نُظُماً امتدت جذورها منذ أزمنة سحيقة .. وهذا لا ينكره عالم .

وقد سبّبت الفتوحات العربية عملية مزج قوية بين الفاتحين وأهل البلاد ، وقد حمل العرب معهم دينَهم ، ولغتَهم ، وسُمُوَّهم الرّوحى والخلقىّ ، وحملوا معهم ثقافة عربية ، هى مزيجٌ من جهود أسلافهم القدامى فى اليمن ، وفى أطراف شبه جزيرتهم العربية ، ومن أسفارهم التجارية ، ومن خبراتهم فى ميادين الاقتصاد والسياسة ، ومن إنتاجهم الأدبى الرائع فى الشعر ، والخطابة ، والحِكَم والأمثال .. ولغة فياضة مرنة تجلّى غِنَاؤهَا وبلاغتها فى القرآن الكريم .

وتجلّت أصالةُ الإسلام فى استيعاب الحضارات القديمة ، وتكييفها ، ثم فى خلقها خلقاً جديداً . وأصبحت الحضارة الإسلامية هى حضارة الشرق الأدنى والأوسط [1] .. بل إنّ نفسَ وجود العالم الإسلامى كان له أثر كبير فى صوغ التاريخ الأوربى والحضارة الأوربية . وجاء نزول القرآن الكريم باللغة العربية إعلاء لشأنها ، وتثبيتاً لأركانها ، وأظهرت المدنية والحضارة الإسلامية مرونة اللغة العربية ، وقدرتها على التعبير العلمى ، فاشتقت ألفاظاً

(١) راجع (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى « لآدم متز » نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة وطبع فى مصر سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م الطبعة الثانية) .

من اللغات الأخرى وعَرَّبتْها ، وأكسبت بعض ألفاظها معانى جديدة ، وجعلت من نفسها لغة حيَّةً عالمية .

ولا ننكر أنه كان للفتوحات العربية أثر ملحوظ فى سرعة انتشار الدين الإسلامى فى كافة الأقاليم التى فتحها العرب خارج شبه الجزيرة العربية ، فدخل الدين الإسلامى فى هذه البلاد بدخول العرب فيها .

وما لبث أن تغلّب على الأديان الأخرى التى وُجِدَتْ قبله ، وأصبح المسلمون أغلبية فيها . ففى مصر - مثلًا - أصبح المسلمون أغلبية ، منذ أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أى بعد أقل من قرنين من الزمان ، بعد فتحها على يد عَمْرو بن العاص[(١)] .

وأدّى انتشار الإسلام انتشاراً واسعا وسريعاً ، خاصة فى بلاد ترتبط بأصول المسيحية ونشأتها مثل : الشام ، ومصر ، والعراق ، إلى أن يدَّعى بعضُ المتعصِّبين ، أن الإسلام لم ينتشر فى هذه البلاد إلا بحدِّ السيف !! لكن الأصول والمصادر الموثوق بها تثبت أن العرب تسامحوا مع أهالى البلاد المفتوحة ، ولم يفرضوا عليهم ديانة معيّنة ، وإنما فرضوا فقط سيطرتهم السياسية ، ومن الثابت أن الدولة التى قامت على أساس من الدين الإسلامى ، والتى كان شعارها حماية ذلك الدين . لم تضطهد أحداً من أهل الذمة ، أو ترغمه على ترك دينه .

فبعد أن تم استيلاء عمرو بن العاص على الإسكندرية ، ودخول الجيش العربى فيها نقل عميد الأقباط حينئذ ، واسمه « سانوتيوس »[(٢)] إلى عَمْرو ابن العاص قصّةَ بطرك القبط « بنيامين » الذى اختفى خوفاً من اضطهاد

---

(١) راجع خطط المقريزى ٧٩/١ - ٨٠ .

(٢) يقول ساويرس بن المقفع فى تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٢٣١ - ٢٣٢ عن سانوتيوس : « سانوتيوس التكس المؤمن » والتكس : يعنى به الدوق . الذى تولى إدارة شئون الأقباط منذ اختفاء البطرك « بنيامين » وأحسن إدارتها ، وجمع كلمة الأمة بعد أن كانت حوادث الروم قد جعلتها أشتاتاً .

الروم، ولما كان الموضع الذى اختفى فيه الأب « بنيامين » غير معروف بالضبط، فقد كتب عمرو بن العاص إلى جميع أقاليم مصر كتاباً يقول فيه : « الموضع الذى فيه بطرك النّصارى القبط. له العَهْدُ والأمان والسلامة من الله، فليحضر آمنا، ويُدَبِّر حالَ بيعته، وسياسة طائفته »[1].

وكانت هذه هى الوسيلة الإعلامية فى ذلك العهد؛ لكى تصل الدعوة إلى الأب « بنيامين ».

وعندما علم الأب « بنيامين » بدعْوَة عمْرو بن العاص، والأمان الذى بذله له، عادَ إلى الإسكندرية مسروراً بعد غيبة دامت ثلاث عشر عاماً. أمضى منها عشر سنين أثناء حكم « هرقل » وثلاث سنين أثناء الفتح العربى إلى أن فتح العرب الإسكندرية.

وقد طرب أهل مصر جميعاً لعودة راعيهم.. ولما أبلغ « سانوتيوس » عمرو بن العاص بمقدم بنيامين، أمر عمرو بإحضاره إليه معززاً مكرماً، فلما مثل بين يدى عمرو، أكرمه وبالغ فى الحفاوة به، وأعطاه الحريّة ليشرف على الكنائس، ويرعى أحوال الأقباط.

وكان من نتائج عودة بنيامين إلى كرسى البطركية أن رجع كثير من الأقباط إلى المذهب « الأرثوذكسى » بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد هرقل، كما عاد الذين قد اختفوا خوفاً من هذه الاضطهادات.

وبعد أن تم للأب بنيامين جمع قومه من القبط، ولم شعثهم اتجه إلى بناء ما كان هرقل قد هدمه من الكنائس والأديرة.

ولا عجب أن عم السرور والفرح أهل مصر جميعاً. ولا شك أن الأقباط قد وقفوا خلف راعيهم يشدون أزر العرب ضد الروم حين فتح الإسكندرية سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م.

---

(١) راجع (تاريخ البطاركة ٢٣١ - ٢٣٢).

وعلى أية حال فقد أعاد عمرو بن العاص البطرك بنيامين إلى كرسى البطركية فى مصر.. وكفل العرب للأقباط الحرية التامة فى إقامة شعائر دينهم، وفى إصلاح ما تهدم من كنائسهم، وكذلك ترك العرب مقاليد الأمور فى يد أهل مصر من الأقباط محتفظين لأنفسهم بالسياسة العليا وتنفيذ أحكام الدين.

ولا يمكننا أن نفسر سياسة عمرو بن العاص وسائر العرب مع الأقباط بأنها مسألة من دروب السياسة. لكن تسامح المسلمين، وإقامة العدل بين الأقباط، وإطلاق حريتهم الدينية والمدنية فى بلدهم، كان نابعاً من الدين الإسلامى نفسه ومن تسامح الإسلام.

ولما فتح العرب مصر وضح التسامح الدينى نحو المصريين بحكم التشريع الإسلامى وروح الإسلام، كذلك كان للعوامل السياسية أكبر الأثر فى حمل العرب على ترك مقاليد الأمور فى يد أهل مصر من القبط، محتفظين لأنفسهم بالسيادة العليا، وتنفيذ أحكام الدين. أى أن الأقباط أصبحوا يتمتعون بحرية تامة فى الدين، كما أصبح لهم نصيب كبير فى إدارة بلادهم، لم يصلوا إليه تحت حكم الرومان قبل الفتح العربى.. ولا شك أن القبط حلُّوا محلَّ الرُّوم الذين غادروا مصر، والذين كانوا يشغلون كثيراً من المناصب السياسية فيها.. أما سائر الوظائف والأعمال الزراعية أيضاً فكانت بيد القبط [١].

وقد حَرّمَ عمَرُ بن الخطاب على العرب الاشتغال بالزراعة، أو امتلاك الأرض، فلم يكونوا يعنون بغير السياسة، والحكم، والحرب.

هذه هى سياسة العرب منذ دخولهم مصر فى عهد عمر بن الخطاب،

---

(١) راجع بحث الدكتوراه المقدم من الدكتور محمد عفيفى إلى قسم التاريخ فى كلية الآداب جامعة القاهرة وقد طبع فى سلسلة تاريخ المصريين ٥٤ سنة ١٩٩٢ بعنوان (الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى).

متسامحين إلى أبلغ حَدّ، مخلصين فى تنفيذ تعاليم الإسلام السمحة، كذلك أثبت العرب حنكة سياسية بالغة فى إبقائهم على النُّظُم المختلفة فى مصر، والتى قامت فيها منذ القدم، ونمت وتطوّرت خلال العصور المتوالية. واكتفى العرب بشغل المناصب الرئيسية وهى: الإمارة على مصر. ورئاسة المالية، والحرب، والشرطة، والقضاء.. وشهد للعرب الأعداء قبل الأصدقاء، والذمّيون قبل المسلمين، ولم ينكر أحد زمن الفتوحات الإسلامية، تسامح العرب الدينى وحسن معاملتهم لأهل الذمة عامة.

ولا نرى فى روايات المؤرخين الأوائل مثل: الطبرى، والبلاذرى، وابن عبد الحكم. ولا فى حوليات الكنيسة المصرية التى جمعها ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين، ولا فى تاريخ ابن البطريق ما ينفى هذه الحقيقة.

لكننا نقرأ فى بعض كتب الفقهاء[1] عن أمور اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الذمة بخصوص ملابسهم، والدواب التى يركبونها؛ مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية.

وكذلك. يذكرون أن عمر بن الخطاب اشترط على أهل الذمة عدم بناء كنائس بعد الإسلام إلا ما قد صُولِحوا عليه[2].

ونجد رِوايةً لأقدم مؤرخ مصرى مسلم. هو عبد الرحمن بن عبد الحكم يقول فيها: إن عمر بن الخطاب أمر عمرو بن العاص بألّا يدع أهلَ الذمّة يتشبهون بالمسلمين فى لباسهم[3].

أى أنه بعد وفاة عمر بن الخطاب بأكثر من قرن ونصف من الزمان بدأ يظهر فى كتب الفقهاء بعض الشروط والأحكام الخاصة بأهل الذمة من حيث لباسهم والدواب التى يركبونها، وبناء الكنائس والمعابد الدينية، ثم

(١) راجع كتاب الأم. للشافعى الجزء الرابع. والمبسوط للسرخسى.
(٢) كتاب الخراج. لأبى يوسف ٧٢ - ٧٣ والأحكام السلطانية. للماوردى ١٣٨ - ١٣٩.
(٣) راجع فتوح مصر وأخبارها. لابن عبد الحكم ١٥١.

أصابت هذه الشروط والأحكام الزيادات الكثيرة، والتأويلات، وسوء التفسير والتحريف، منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى استقرت بوضعها النهائى فى المدارس الفقهية، وأصبحت تعرف باسم « الشروط العمرية » أو « عهد عمر » وناقش هذا العهد الكثير من الكتاب ومن المستشرقين مما حدى بالدكتور ترتون Tritton الأستاذ بجامعة لندن أن يضع كتاباً عن أهل الذمة فى الإسلام [١] وجعل بعض الفقهاء والمؤرخين « عهد عمر » خاصاً بنصارى الشام ومصر [٢] . ورأى بعض الفقهاء منذ القرن الخامس الهجرى أن عهد عمر هو القانون الذى يحدد العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة [٣] .

وابن الخطاب أجل من أن يكون اقترف شيئاً من آثام هذه العهود، والشروط التى حملت عليه، وقد سكت عنها أو جهلها كل الرواة الأقدمين، وأغفل ذكرها كل المؤرخين فى القرنين الثالث والرابع، ولم يشر إليها البلاذرى صاحب « فتوح البلدان » بحرف واحد فى كتابه « فتوح البلدان » وهو مظنة وجودها . ويظهر أن أول من رواها بنصها المشهور هو ابن عساكر، ولم يذكر عن أى مؤلف قبله نقلها؛ لنعلم من كان الواضع لهذه الأحاديث الملفقة، والأرجح أن أول نواة نجمت منها فى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ولا يمكن أن يقال إلا أن عمر بن الخطاب افترى عليه بعد عدة قرون من الفتوحات العربية مرتان : مرة فى حريق مكتبة الإسكندرية، ومرة فى العهد المزعوم سواء كان العهد المذكور فى تاريخ دمشق أو العهد الذى

---

(١) طبع فى أكسفورد عام ١٩٣٠ وقد ترجمه وعلق عليه الأستاذ الدكتور حسن حبشى تلميذ الدكتور ترتون وطبع فى مصر مترجماً مرات ثلاث آخرها طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤ من (سلسلة تاريخ المصريين ٧٠) .

(٢) راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ١/١٧٨ و ١/١٤٩ والأبشيهى ١/١٢٤ ونهاية الأرب ج ٢٩.

(٣) فى كتاب « أهل الذمة فى الإسلام » السابق الذكر توضيح واف لذلك . وللمستزيد أن يرجع إليه .

زعموا أنه أعطاه لـ « صفرونيوس » وسجل فى أول كتاب « القول الإبريزى » !! .

وأغلب الظن أنّ الشروط العُمَرِيّة [1] ظهرت بأشكالها المتكاملة المختلفة منذ مجىء الصليبيين إلى الشرق فى أواخر القرن الخامس الهجرى (أواخر الحادى عشر الميلادى) وحين أخذ بعضُ المسيحيين فى الشام يساعدون الصليبيين بشهادة مورِّخى الصليبيين أنفسهم .

كذلك برزت الشروط العمرية فى مصر حين تسلّط أهلُ الذمة على المسلمين فى النواحى الإدارية والمالية ، وحين أظهروا التعالى عليهم ، وحين قام بعضُ الذميّين بحركاتٍ تخريبية ضدّ منشآت المسلمين .

وربما كانت هذه الأسباب هى التى حدت ببعض الفقهاء إلى إظهار القول بالشروط العمرية ، والدّفاع عنها ؛ كى يقْتنع أولو الأمر بأخذ أهل الذمة بالشدة .

والمعروف أن الإسلام اهتم فى المعاملات بالمبادئ والأسس العامة ، أما المسائل التفصيلية فقد تتغير حسب الظروف والحاجة ، وحسب تطوّر العصور .

ومن خلال هذا المنفذ وجد الفقهاء فى العصور الإسلامية المتأخرة سبيلهم إلى الكتابة فى الشروط العمرية ، والدفاع عن وجهة نظرهم ، وناشدوا أولى الأمر اتباعها . ولكى يزداد أولو الأمر اقتناعاً نسبها الفقهاء إلى عمر بن الخطاب مؤسس التنظيمات الإدارية الإسلامية .

ولكننا نجد أهل الذمة فى مصر يجدون من يدافع عنهم ويقف فى صفهم من القضاة والعلماء والفقهاء ، ومن لا يوافق على الشروط العمرية

---

(١) التى جاءت فى العهد المنسوب إلى عمر لآل دمشق والمذكور فى تاريخ ابن عساكر ، وليس العهد المنسوب فى هذا النص لصفرونيوس بطريرك بيت المقدس .

المزعومة حتى فى أصعب الظروف وفى أوقات اشتعال الفتن والاضطرابات . فقد وقف مثلاً الشيخ والفقيه «ابن دقيق العيد» ، و «ابن لهيعة» قاضى مصر ، و «الليث بن سعد» وغيرهم موقفاً حازماً تجاه مسألة هدم الكنائس التى أفتى بعض الفقهاء فى مصر بوجوب هدمها (١) .

والحق أن علاقة المسلمين بأهل الذمة (وفيهم الأقباط) كانت تفتر وتتراخى أحياناً فى ظروف معينة فى ديار الإسلام ؛ لأسباب سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية .. وليس لأسباب دينية ، فكان الحكام يلجأون فى فترات محدودة إلى التضييق على أهل الذمة فى مظهرهم الخارجى ، وفى بناء كنائسهم وبيعهم ، وطالما مزج الدين بالسياسة منذ العصور القديمة حتى أوائل العصور الحديثة ؛ لإلهاب حماس الجماهير ، أو لإقناع أولى الأمر باتباع سياسة معينة .. وتاريخ العالم كله ملىء بأمثلة كثيرة من هذا النوع . وفى التاريخ الإسلامى قَلَّ أن تجد حركةً سياسيّةً لا تتمسح بلباس الدين .

يروى المقريزى فيما عنونت له بـ «أسباب انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م» أنه لما مات السلطان المنصور وخلفه خليل على العرش ، أصبح كثيرٌ من الكتاب النصارى ممن فى خِدْمة الأمراء .. شديدى التكبر على المسلمين ، وارتدوا الملابس الفخمة ، وعاشوا فى بلهنية من الحياة ، وكان أحدهم فى خدمة أحد أمراء الخاصكيّة اسمه «عين الغزال» وحدث أن صادف فى أحد الأيام سمسارَ شونة مخدومه ، فترجَّلَ السِّمْسارُ وقَبَّلَ قدمَ الكاتب الذى أخذ يسبّه ويتوعّده ؛ لتباطئه فى دفع أثمان بعض الغَلّةِ . فراح السّمسارُ يعتذر ويترفّق له ، فلم يزدَدْ الكاتبُ إلا غلظة ، وأمر خادمه أن يترجل ويقيّد السِّمسارَ ، ويسحبه ويمضى به ، فاجتمع الجمهورُ حتى بلغوا صليبة مسجد ابن طولون .. وتوسّل كثيرٌ من الناس إلى الكاتب أن يفكَّ السمسارَ ، فأبى !! فتكاثر الناس عليه وألقوه عن حماره ، وأطلقوا سراح

(١) ابن النقاش : المذمة فى استعمال أهل الذمة ص ٩٩ (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٢ تاريخ) .

السّمْسار، وكان الكاتب قريباً من بيت مخدومه فبعث «عينُ الغزال» إليه بجنديّ وثلّة من غلمانه وأوجاقيته؛ لإنقاذه، فخلّصوه من أيدى العامة.. وقبضوا على البعض لإدانتهم، فأدى الأمرُ إلى اضطرابٍ وهياج، وأسرع الناسُ إلى القلعة طالبين المعونة من السّلطان الذى أرسل مَنْ يستكشف له الأمر، فأخبره بما فعله الكاتب النصرانى بحق السمسار.. فبعث فى طلب «عين الغزال» وأمر الجمهورَ بإحضار المسيحيين إليه، كما أرسل فى طلب «بدر الدين بيدرا» [النائب] وسنجر الشجاعى.. وأمرهم بإحضار جميع النصارى، وكان ما تقرؤه فى هذا الكتاب صفحة (١٢٤ - ١٣٢) من النص.

* * *

الأديرة ، والكنائس

أما عن الرهبان والأديرة فقد ذكر المقريزى [1] أنه كان بوادى هبيب [وهو وادى النطرون الحالى ويقع بين بحيرة مريوط والفيوم] مائة دير للنصارى ، وأنه خرج منه سبعون ألف راهب [2] ، فلقوا عمرو بالطرانة [3] بالقرب من الإسكندرية ، وسألوه الأمان لأنفسهم وديارهم ، فكتب لهم بذلك أماناً بقى عندهم .

والمعروف أن الرهبنة ، والأديرة كانت منتشرة فى أنحاء مصر وفى صحرائها الشرقية والغربية ، وفى شبه جزيرة سيناء (دير سانت كترين) .

وترجع كثرة الأديرة إلى كثرة عدد الرهبان الذين لجأوا إليها بسبب اضطهاد أباطرة الرومان الوثنيين للمسيحيين ، ثم اضطهاد الأباطرة المسيحيين لمسيحيى مصر المخالفين لهم فى المذهب الدينى . فهؤلاء يعاقبة ، وأولئك ملكيين ! والرهبنة نتيجة طبيعية للتعاليم المسيحية الأولى .

والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد ، أن الأقباط فى مصر ، والرهبان منهم لم يجدوا فى العرب عدوا لهم ، ولا لمذهبهم الدينى كما كان الرومان .

---

(١) الخطط ١٨٦/١ .

(٢) يقول الأمير عمر طوسون الذى زار هذا الوادى ، وكتب عنه يقول : وعدد السبعين ألف راهب الذى ذكره المقريزى فى عبارته الآنفة ، لا شك أن فيه مبالغة كبيرة فقد روى المعاصرون أنه لم يكن يوجد فى هذه المنطقة أكثر من ٣٥٠٠ راهب فى أواسط القرن السادس الميلادى . وأنه لما كان « دميانوس » بطركا أغار البربر على وادى النطرون ففر منه رهبانه . وأنه زاره بعد ذلك البطريرك « بنيامين » حوالى سنة ٦٣٠م أى قبل الفتح بعشرة أعوام فوجد به عدداً قليلًا من الرهبان بسبب العوائق التى كانوا يلاقونها من البربر فى سبيل تجمّعهم من جديد (وادى النطرون لعمر طوسون ٤٠) .

(٣) **الطرانة . أو طرنوط** : مدينة على شاطئ بحر رشيد الغربى فى مصر . كان فيها كثير من الكنائس ، وكانت محطة الوصول إلى وادى النطرون .

وتحدِّثنا كتب الرحالة، والجغرافيين، والمؤرخين عن كثرة الأراضى الزراعية والبساتين التى حول الأديرة، وكذلك تلك التى فى حوزة الكنائس، فأشاروا إلى كثرة المزارع والبساتين التى حول طور سيناء (دير سانت كاترين) وعن كثرة الأملاك الموقوفة على دير أنبا أندونة بشرقى طفيح، وكذلك كان لدير سمالوط بالأشمونين وقف من الخلفاء مساحته عشرون فداناً بالإضافة إلى بستان كبير، مملوء بأشجار الفاكهة، وأنواع الأشجار الأخرى.. أما الدير المعروف بـ «شهران» فكان له بستان مساحته ستة أفدنة، وأراضٍ زراعية ويذكر أبو صالح الأرمنى أن الحاكم بأمر الله كان كثير التردد عليه والنزهة فيه [١].

وحقيقة الأمر أنه كان هناك الكثير من الأراضى الزراعية والبساتين الموقوفة على الأديرة - والثابتة فى حساب الدواوين - للصرف منها على الرهبان ومتطلبات هذه الأديرة [٢] لدرجة أن أحد تجار الأقباط «بقفط» أوقف على أحد الأديرة بها أربعين زوجاً من البقر؛ لتدور فى السواقى الملحقة بأراضى الدير، لريِّها [٣].

وكان عندما يتعرض الرهبان فى دير سانت كترين لاعتداءات العربان تصدر المراسيم لحث الموظفين، والنواب، ورؤساء القبائل العرب على منع اعتداءات العربان، وإحضار المعتدين إلى القاهرة؛ لمعاقبتهم [٤].. واضطرت الدولة - أحياناً - أن تأخذ على الأعراب «قسائم شريفة» بعدم الاعتداء [٥].

---

(١) راجع كتاب (كنائس وأديرة مصر) المعروف بـ «تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمنى» المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٨م نشر Evetts طبعة أكسفورد سنة ١٨٩٤م.

(٢) ابن فضل الله العمرى (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٣٨٤/١).

(٣) أبو صالح الأرمنى ١٣٠ - ١٣١.

(٤) فى مجموعة الوثائق العربية بدير سانت كترين مرسوم للأشرف طومان باى. تنص هذه الوثيقة على أن «من المشمول بنظرنا السعيد جماعة الرهبان والرهبانات الملكيين واليعاقبة» (مرسوم الأشراف طومان باى رقم ١٠١).

(٥) (مرسوم الناصر محمد بن قلاون رقم ٣٥، ومراسيم الناصر حسن رقم ٣٦، ٣٧، ٣٨ ووثيقة مؤرخة فى سنة ٨٦٦هـ).

وقد تمتع دير سانت كترين بمكانة عظيمة لدى الحكومات فى مصر الإسلامية ، وصدرت المراسيم المختلفة من حكام مصر الإسلامية إلى كبار موظفى الدولة فى بندر الطور وغيره من المدن والثغور فى مصر وفى الشام بتقديم كل التسهيلات اللازمة للرهبان ، وتأمينهم فى سفرهم بين أجزاء البلاد ، وفى خارجها ، وإعفاء الدير وسكانه من كافة أنواع الضرائب ، اعتماداً على ما بيدهم من المراسيم الشريفة ، والعهد المنسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم [1] .

كذلك أكرمتهم الدولة بحكم أنهم منقطعون فى منطقة شرّفها الله تعالى ، وأنهم كانوا يقدمون الخدمات للمسافرين من الحجاج ، ولعابرى السبيل من المسلمين والمسيحيين على السواء ، ويقومون بالدعاء للدولة فى هذه المنطقة .

وكانت الأديرة - على وجه العموم - موضع اهتمام بطاركة الكنيسة المصرية طوال تاريخ مصر الإسلامية ، فكانوا يضعون لها القوانين - كما فعل البطريرك بنيامين - ويعنون بتعميرها ، وبتنظيمها ، وتحقيق الأمن والسلام لرهبانها .

كذلك اهتم كثير من أمراء ، وخلفاء ، وسلاطين مصر الإسلامية بعمارة الأديرة وتزويدها بالبساتين ، وكان بعضهم يقضى الكثير من أوقاته فى هذه الأديرة ، وأصبح كثير منها متنزَّها للمسلمين وأهل الذمة ، ومكاناً لإشباع هواية صيد الطيور والأسماك ، كما كان بعضها مكاناً لأهل اللّهْو والخلاعة ، حيث يكثر بها الشراب . وتغنى بعض الشعراء المصريين بجمال هذه الأديرة [2] وما يدور بداخلها .

وأحصى المقريزى ستّة وثمانين ديراً كان معظمها لليعاقبة . وخُصِّصَت

---

(١) انظر مثلًا مراسيم : قطز رقم ١٧، وخليل بن قلاون رقم ٢٤، وبرقوق رقم ٢٩، وجقمق رقم ٥٠، وخشقدم رقم ٥٩، وقايتباى رقم ٧٩.

(٢) راجع ما قيل فى دير القصير وغيره من هذا الكتاب .

بعضُ الأديرة للنساء، ومن الأديرة التى ورد ذكرها كثيراً: دير القصير على جبل المقطم، كان يتردد عليه أحمد بن طولون، وابنه خمارويه، فضلاً عن الخلفاء الفاطميين [1].

* * *

هذا عن الأديرة أما الكنائس فيرى السير توماس أرنولد فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» فى معرض حديثه عن سياسة التسامح الدينى التى نعم بها أهل الذمة فى مصر فى عصر الفاطميين أن السلطة المدنية أباحت للقبط أن يبنوا كنائس فى القاهرة - العاصمة الجديدة - كما سمح للمسيحيين أن يؤسسوا فى بعض المدن الأخرى كنائس وأديرة جديدة [2].

هذا فضلاً عن السماح لهم بتجديد عمارة الكنائس القديمة .. وتحت مظلة التسامح الدينى انتهز البطريرك إبراهام السوريانى - البطريرك الثانى والستون للكنيسة القبطية - صداقته الوطيدة بالخليفة «المعز لدين الله» والتمس منه تجديد عمارة كنيسة القديس مرقوريوس المعروف بأبى سيفين بالفسطاط وكذلك الكنيسة المعلقة بقصر الشمع، فأذن له المعز ببناء الكنيستين، كما قام البطريرك المذكور ببناء وترميم كثير من الكنائس بالإسكندرية وسائر أنحاء مصر.

ويذكر المقريزى أن كنيسة «مارى مرقص» التى بالإسكندرية بنيت ما بين عامى ٣٩هـ و ٥٦هـ زمن البطريرك «أغاتو» البطريرك التاسع والثلاثون فى خلافة معاوية بن أبن سفيان. ولقد بنيت أوّل كنيسة بالفسطاط فى حارة الروم زمن ولاية مسلمة بن مخلد على مصر ما بين عامى ٤٧ و

(١) فيما يختص بالأديرة، راجع الشابشتى فى الديارات ١٨٤ وما يليها. وساويرس فى (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية) ٣٦/٢ - ٣٨، ١٦٠ و٣ - ١٤/١ و٣ - ٧٩/٢. وعمر طوسون فى كتاب وادى النطرون وأديرته ورهبانه.

(٢) **أرنولد**: الدعوة إلى الإسلام ٨٤ ترجمة حسن إبراهيم، وعبد المجيد عابدين الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٥٧م.

٦٨هـ . ولما أنشأ عبدالعزيز بن مروان حلوان أذن لخادمين ملكيين من خدمه ببناء كنيسة هناك عرفت « بكنيسة الفراشين » كما قام البطريرك « ليوناس » بتشييد أخرى ، بل إن عبد العزيز رسم لبعض الأساقفة ببناء دير هناك ، كما سمح لكاتبه « أثناسيوس » ببناء كنيسة فى قصر الشمع ، فلم يكتف بواحدة ، بل شيد اثنتين هما : « كنيسة مارى جرجس » و « كنيسة أبى قير » داخل قصر الشمع[1] . كما أذن الوليد بن رفاعة – والى مصر – للنصارى بإعادة بناء « كنيسة أبى مينا » بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر. ولما جاء موسى بن عيسى – زمن الرشيد – سمح للنصارى بتجديد الكنائس التى هدمها علىّ بن سليمان ، وقد تم هذا استجابة لنصيحة الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، قاضى مصر آنذاك ، وهما اللّذان قالا : « إن بناء هذه الكنائس من عمارة البلاد » وأكدا أن البِيَع التى فى مصر إنما بنيت فى الإسلام ، فى زمن الصحابة والتابعين .

ويتجلى لنا مما سبق ومما ذكره المؤرخون أن الكنائس فى مصر كانت تبنى بحرية ، وكانت تشيّد بموافقة السلطة وأصحاب الأمر والنهى .. بل أحياناً بمساعدتهم كما رأينا .

ونعرف من المصادر التاريخية المختلفة أن كنائس بنيت فى مصر الإسلامية ، كما جددت كنائس أخرى وذلك بعد الفتح العربى لمصر ، وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى فى مصر . ومر بنا أنه منذ عودة البطريرك « بنيامين » إلى البطركية فى الإسكندرية قام ببناء وتجديد كنائس كثيرة ، ويخبرنا أبو صالح الأرمنى عن بناء كنائس عدة فى مصر فى الخلافة الأموية بوجه عام ، كما نعرف أنه فى خلافة المأمون العباسى ، وحين قدومه إلى مصر استأذن خدم الخليفة وكانوا من المسيحيين الملكانيين فى تجديد كنيسة السيدة مريم على جبل المقطم بالقرب من قبة الهواء (القلعة) وعرفت أيضاً باسم كنيسة الفراشين ، كما عرفت باسم كنيسة الروم .

---

(١) راجع أهل الذمة فى الإسلام . ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبشى ٤١ – ٤٢ ، ٤٨ ، ٥١ .

ونحن لا نقوم الآن بعمل حصر للكنائس والأديرة التى بنيت فى مصر الإسلامية ، منذ خلافة عمر بن الخطاب إلى العصر الحديث .

لكن الذى نريد أن نقرره من واقع المصادر ومن واقع حوليات الكنيسة القبطية ، ومن الوثائق المختلفة .. أن الغالبية العظمى من الكنائس ، وبيوت العبادة لأهل الذمة فى مصر بنيت فى العصر الإسلامى ، ومنذ خلافة عمر ابن الخطاب وفى ظل تسامح المسلمين ، ولعل أبلغ دليل على التسامح فى مصر ، وعلى المساواة الاجتماعية بين المسلمين والأقباط ما كتبه الرحالة « لوسى دون جوردون Lucy Don Gordon » فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، عن إحدى قرى الصعيد هى قرية (بيا) فى محافظة بنى سويف الآن . يقول : « إن أهالى (بيا) ومعظمهم من المسلمين ، انتخبوا (جرجس القبطى) عمدة لهذه البلد ... ... ومما أثار إعجابى روح التسامح التى أجدها فى كل مكان . ويظهر أن المسلمين والأقباط على وئام تام ، ويوجد فى (بيا) ثلاث عشرة أسرة قبطية ، مقابل عدد كبير جداً من المسلمين ، ومع ذلك انتخب الأهالى « جرجس » عمدة لهم ، وكانوا يقبلون يده طائعين ، بينما كنا نمر فى طرقات القرية » انتهى كلام الرحالة [1] .

والحق أن التشريعات والأحكام والعهود التى افتريت على عمر بن الخطاب كما وضحنا من قبل والتى عرفت باسم « عهد عمر » أو « الشروط العمرية » لم نقابلها فى مصر إلا فى عصر « المتوكل » الخليفة العباسى فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وكانت هذه الأحكام أوامر وقتية نسيت بعد فترة وجيزة فى عهد الخليفة المتوكل نفسه . وذلك بشهادة ساويرس .

والمعروف أن أهل الذمة ظلوا يعيشون عيشة هادئة طوال عصور مصر الإسلامية ، فكانوا ينعمون بحرياتهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق إخوانهم

---

(١) راجع سيدة كاشف . ومصدرها فى (مصر الإسلامية وأهل الذمة ١٨) .

المسلمين . باستثناء فترات طارئة كان يسودها العنف من جانبهم أو من جانب المسلمين ، أو من الحكام .. وكان ما يحدث فى فترات العنف ليس أحكاماً دينية إسلامية ، وإنما نزوات وخلافات تحدث بين أفراد الأسرة الواحدة . وسرعان ما تنقشع وتعود الحياة إلى مجاريها ، وكان يتخذ منهم الكتاب ، والوزراء ، وعمال الدواوين .

ومن ناحية أخرى نرى أن الكنائس كانت على الدوام منذ زمن بعيد عرضة للهدم لظروف اجتماعية ، ولا مشاحة فى أن يكون الخطر عليها أشد فى أوقات الاضطرابات السياسية .

ومنذ القرن الثانى تبلورت الفكرة القائلة بأن جميع أماكن العبادة قد بنيت زمن الإسلام ، ثم ما لبثت هذه الفكرة أن أصبحت عامة فيما بعد .

وكان مسلك الحكومة يختلف باختلاف الأزمنة .. وكانت السلطات المسئولة تبدى فى بعض الأحيان شيئاً من الالتفات إلى المظاهر الشرعية ، فقد ذكر الكندى نقلاً عن ابن زولاق شاهداً على صحة هذا الالتفات : فذكر أنه اتفق أن انهدم جانب من كنيسة أبى شنودة ، وبذل النصارى مالًا كثيراً لتطلق لهم عمارتها ، فاستفتوا الفقهاء ، فأفتى ابن الحداد بهدم عمارتها ، ووافقه أتباع مالك ، وأفتى محمد بن على العسكرى بأن لهم أن يرمّوها ويعمّروها .. فثارت العامة ، وهموا بإحراق داره ، فاستتر ، وأحاطوا بالكنيسة ، فبلغ ذلك الأميرَ فاغتاظ ، وأرسل وجوه غلمانه فى جمع كثير ، فاجتمع عليهم العامة ، ورموهم بالحجارة ، فراسلوه ، فأرسل إلى ابن الحداد وقال له : اركب إلى الكنيسة ، فإن كانت قائمة فاتركها على حالها ، وإن كانت دائرة (أى العمل قائم فيها) فاهدمها ، فتوجه ابن الحداد وبصحبته المهندس على بن عبد الله بن النواس .. وكثر الزحام ، فلم يزل يرقّق لهم القول ، ويرقق لهم اللفظ ، ويفهمهم أنه معهم ، حتى فتحوا الدروب ودخل الكنيسة ، وأخرج جميع من فيها من النصارى ، وأغلق الباب ، ودفع

للمهندس شمعة ودخل المدبح وكشف وقال : يبقى خمسة عشرة سنة ثم يسقط منها موضع . ثم تبقى إلى أربعين سنة وتسقط جميعها ، فأعاد الجواب ، فتركها ولم يعمرها .

فلما كانت سنة ستة وستين وثلاث مائة عمرت كلها [1] .

وأصدر الخليفة العزيز أمره بإرجاع كنيسة مرقص أبى مرقورة إلى البطرك الذى تعرضت العامة له ، وحالت بينه وبين ترميمها ، فلم يكن من العزيز إلا أن قدم المال من جيبه للبدء فى العمل ، فلم يقبل أحد ما القيام بالعمل ، فاستجلب العمال وعهد إلى الجند بحراستهم [2] .

لكن تسلُّط أهلُ الذمة على المسلمين أصبح ظاهرة من ظواهر الخلافة الفاطمية فى مصر حيث كان منهم الكتاب والوزراء ، وعمال الدواوين .

وكتب المؤرخون القدامى مسلمون ومسيحيون ويهود عن تسلط الذميين واتساع سلطانهم إلى حدٍّ يستلفت النظر . وأشار المؤرخون المحدثون إلى ذلك صراحة .

وبرغم أن العصر الفاطمى كان العصر الذهبى لأهل الذمة فى مصر ، إلا أنهم عانوا من تصرفات الخليفة « الحاكم بأمر الله » (٣٨٦- ٤١١هـ / ٩٩٦- ١٠٢١م) وتقلبه فى الرأى مثلما عانى منه بقية المصريين رجالًا ونساء .

وبالرغم من اعتماد الحاكم بأمر الله على كثير من أهل الذمة فى الحكم ، وصداقته لهم ، إلا أنهم لقوا منه ومن أحكامِهِ كثيراً من الشدائد ، مدة لا تقل عن تسع سنوات .

---

(١) الكندى . الولاة والقضاة ٥٥٤ .

(٢) راجع الدكتور ترتون نقلاً عن أبى صالح الأرمنى (أهل الذمة فى الإسلام ٥٦ ترجمة الدكتور حسن حبشى) .

ويعلِّلُ المقريزى شدّتَه على أهل الذمة ، بأن « كثيراً منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء ، وتعاظموا ؛ لاتساع أحوالهم ، وكثرة أموالهم ، فاشتد بأسهم ، وتزايد ضررهم ، ومكايدتهم للمسلمين ، فأغضب الحاكمَ بأمر الله ذلك . وكان لا يملك نفسه إذا غضب » [1] .

وقد فصل الحاكم كثيراً من أهل الذمة من الموظفين . وفى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥م أمر الحاكم النصارى واليهود بشد الزنّار ولبس الغيار .. وتجددت أوامر الحاكم الخاصة بأهل الذمة فمنع أثرياءهم من امتلاك العبيد ، واستخدام المسلمين .. كما أمر بهدم كنائس القاهرة ، وأمر بهدم كنيسة القيامة فى القدس .. وفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م أمر بإلغاء أعياد أهل الذمة ، وصودرت أوقاف الكنائس والأديرة لحساب بيت المال . وكان مثل هذه الأوامر فى سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م وسنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م. وبالغ الحاكم فخيَّرَ أهلَ الذمة بين الإسلام أو القتل ، فأسلم البعض وهاجر البعض خارج الديار إلى بلاد الروم ، وإلى بلاد النوبة ، والحبشة ، وكتم البعض إيمانه [2] .

والحقيقة أن الشعب المصرى كله ابتلى بتصرفات الحاكم بأمر الله ، والعبث بأقداره ، فلم تكن وطْأَة الحاكم على أهل الذمة بأكثر من وطأته على المسلمين من أهل السنة .. وكانت تصرفات الحاكم متناقضة ، فيأمر بالشىء ثم ينقضه .. وكانت سياسته مع رعاياه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم تتميز بالعنف ، كما تتميز بالشىء الكثير من التذبذب والاضطراب !!

وفى سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م أصدر الحاكم سجلاً سمح فيه لأهل الذمة بعمارة الكنائس ، وأعفاهم من لبس الغيار ، كما أذن للذين أُجْبِرُوا على اعتناق

---

(١) الخطط ٢/٤٩٥ .

(٢) تاريخ ابن البطريق ١٩٥ ، والمقريزى : الخطط ٢/٢٨٥ و ٢٨٨ و ٤٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٤/١٧٧.

الإسلام بالعودة إلى دينهم [1] وكذلك أمر بإعادة الكنائس التي كان قد هدمها وأعاد إليها أملاكها .. كذلك عاد إلى مصر كثير ممن كانوا قد هاجروا منها [2].

وفى سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م توجه إلى الحاكم الأبُ « سلمون » رئيس دير طور سيناء (سانت كترين) وبسط له حالة الرهبان فى الدير والتمس منه إعادة الأوقاف التى صادرها .. فلبى الحاكم طلب رئيس الدير، وفى نفس الوقت استأذن الأب سلمون فى عمارة دير القصير على جبل المقطم، وإعادة الرهبان إليه، فوافق الحاكم، وصدر سجل بذلك فى ربيع الآخر سنة ٤١١هـ .. وفى جمادى الآخر من نفس السنة صدر سجل بإعادة كنيسة القيامة فى القدس. وأنس الحاكم بالأب سلمون وأصبح لا يؤخِّر له طلباً بشأن إصلاح الكنائس وأهل الذمة [3].

وهكذا نرى أن أحكام الخليفة الحاكم بأمر الله كانت أحكاماً غريبة شاذة ومتناقضة، شأنها شأن أحكامه على المسلمين من أهل السنة، وعلى النساء، وعلى وزرائه والمقربين إليه !!

ومما يضاف إلى غرابة هذه الأحكام : الإجبار على اعتناق الإسلام أو الهجرة من الوطن، ثم السماح بالرِّدَّة [4] والعودة، وإعادة فرض الجزية.

وبالرغم من اضطهاد الحاكم لأهل الذمة فى فترات معينة خلال حكمه، فإن أهل الذمة كانوا يلعبون دوراً هاماً فى إدارة مصر وسياستها، فكان منهم وزراء الحاكم بأمر الله، وكتابه، وأطباؤه، وكان منهم عمال الخراج، وكتاب الدواوين.

---

(١) ساويرس (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية. المجلد الثانى - الجزء الأول ١٣٥ و١٣٧، وتاريخ ابن البطريق ٢٣١ و٢٣٨).

(٢) تاريخ ابن البطريق ٢٣١ - ٢٣٢ وابن إياس. بدائع الزهور ٥١/١ ط بولاق، وحسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) تاريخ ابن البطريق ٢٢٨ - ٢٣٢ .

(٤) **الردة** :الرجوع إلى ما كان عليه من دين وعقيدة قبل إسلامه .

وليس من شك فى أن مغالاة الفاطميين فى الاعتماد على أهل الذمة فى شئون دولتهم ؛ أدّى إلى تسلّط أهل الذمة على المسلمين . ووجَدَ استياءُ العامة متنفّساً له فى تصرفات الحاكم الغريبة المتناقضة.

ولكن لم تلبث أن طويت هذه الصفحة العجيبة فى تاريخ مصر فى أواخر أيام الحاكم ، وفى خلافة ابنه الظاهر (٤١١ - ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ - ١٠٣٦م) وعادت الطمأنينة إلى نفوس أهل الذمة والمسلمين.

ويظهر مما كتبه ساويرس بن المقفع أن التمييز بين المسلمين وأهل الذمة فى الزى لم يكن المقصود منه دائماً الحطّ من شأنهم ، أو تحقيرهم .. وكان ذلك بناء على مشورة مستخرج الجوالى (الجزية) [١] فهذا التمييز فى اللباس كان لتيسير مهمة جمع الجزية.

وعاد الهدوء إلى أهل الذمة ، وظلوا آمنين طوال العصر الفاطمى والأيوبى ، وبلغوا مبلغاً كبيراً من الثروة ، والنفوذ والسلطان فى عصور المماليك ، وصارت دورهم تعلو على دور المسلمين ومساجدهم ، وكان عمل الأقباط فى الإدارة المالية يمكّنهم من النفوذ والمال ، والظاهر أن الدواوين كانت غاصة بالموظفين القبط فى عصر المماليك ، مما كان سبباً فى قيام سلسلة من المشاغبات والفتن بين المسلمين والأقباط فى القرنين : الثامن ، والتاسع الهجريين (الرابع عشر ، والخامس عشر الميلاديين) أشار إليها المقريزى [٢] وهو ما عنونت له فى نص المقريزى بـ (أسباب انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م) وكان المسلمون يهدفون بها إلى إخراجهم من الدواوين.

ويشير المؤرخون إلى حوادث فردية استفزازية من جانب أهل الذمة ضد المسلمين كما يشيرون إلى عدة حرائق أشعلها أهل الذمة فى القاهرة

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٢ - ٢١٨/٣ .
(٢) الخطط ٤٩٧/٢ - ٥٠٠ و٥١٢ - ٥١٧ .

والفسطاط[1] فى سنة ٦٢٣هـ / ١٢٦٤م و ٧٢١هـ / ١٣٢١م، وهذا الحريق كان رد فعل (انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م) وكانت الدولة تلجأ إلى رؤساء أهل الذمة فى مثل تلك الظروف ليقوموا بردع رعاياهم. ففى هذه الفتنة سنة ٧٢١هـ استُدْعِىَ بطريرك الأقباط للتحقيق فقال : « هؤلاءِ سُفَهاء النّصارى. قصَدُوا مقابَلَةَ سُفهاءِ المسْلِمين علَى تخْرِيبِهِم الكنَائس[2] » .

وكان يستتبع حركات العنف من جانب أهل الذمة أحياناً. إلزام الذميين بالقيود فى الملابس، وطردهم من وظائفهم فى دواوين السلطان ودواوين الأمراء وإغلاق الكنائس كما حدث فى سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م[3] وقد تعددت الأوامر والقيود إلى أهل الذمة فى فترات متباينة، ولكنها لم تكن تراعى إلا فترات قصيرة جداً ثم يهمل شأنها.

ويظهر أن أقباط مصر لم يضيّق عليهم فى الزّى، والركوب، وبناء الكنائس، وغير ذلك مما ينسب بدؤه إلى عمر بن الخطاب إلا فى النادر، فلم يكن يراعى هذا التضييق عليهم إلا فى فترات قصيرة جداً، ثم يهمل شأنه.

وقد كان لوالى مصر حق الإشراف على انتخاب البطاركة بوصفه رئيس الحكومة وممثل الخليفة فى مصر. ويظهر من النصوص أن الأساقفة كانوا يستشيرون الوالى قبل انتخاب البطرك. كما أن البطرك والأساقفة كانوا يذهبون من الإسكندرية مقر البطاركة إلى العاصمة لمقابلة والى مصر بعد الانتخاب للبطركية. ويظهر أن هذه كانت مجرد مسائل شكلية، إذ لم يعرف عن الولاة أنهم عارضوا فى انتخاب أحد البطاركة ما دام الأساقفة يتبعون القوانين الكنسية.

---

(١) راجع عقد الجمان للعينى حوادث سنة ٦٩٢، وخطط المقريزى ٢/ ٣٠ - ٣٢، والسلوك للمقريزى ج ٢ قسم ١/ ٢٢٠.

(٢) خطط المقريزى ٢/ ٥١١.

(٣) السلوك للمقريزى ج ٢ قسم ١/ ٢٢٢ - ٢٢٧.

وهكذا نرى أن العرب تركوا القبط أحراراً فى دينهم ، وفى ثقافتهم ، وجعلوا لهم نصيباً وافراً فى إدارة بلادهم .

وانتصر المسلمون للأقباط الأرثوذكس على أعدائهم فى المذهب الدينى وهم الملكانيون ، فاستردّ الأرثوذكس عدداً من كنائسهم وأديرتهم التى كانت فى يد أعدائهم الملكانيين ، كما انتهزوا فرصة حسن علاقتهم بالمسلمين لكى يجذبوا إلى مذهبهم كثيراً من الملكانيين . وكما بنيت عدة كنائس فى ظل الحكم العربى ، وجدِّدَتْ كنائس أخرى . كذلك ظل الأقباط يحتفلون بأعيادهم الدينية التى يعدِّدُها لنا المقريزى فى خططه ١/ ٢٦٤- ٢٦٩ ولم نعرف أن العرب فعلوا شيئاً يحدُّ من حرية الأقباط فى احتفالاتهم الدينية بتلك الأعياد .. ولم يجد إخوانهم المسلمون غضاضة فى مشاركتهم فى الاحتفالات بهذه الأعياد .

* * *

الأقباط واللغة العربية

اللغة القبطية : هى اللغة المصرية القديمة المستعملة فى عهد الفراعنة ، وكانت فرعاً من اللغات الحامية .. حلت محلها اللغة اليونانية بعد الفتح الإسكندرى فى الاستعمال الرسمى ، وتداولها أهل المدن .. إلا أن العامة وأهل الريف احتفظوا بها ، فتفرعت إلى لهجات أهمها : الصعيدية ، والبحيرية ، والفيومية .. وتولدت منها اللغة (القبطية الغنية بالمفردات اليونانية ، وأبجديتها الأبجدية اليونانية ، وآدابها وافرة لا سيما فى الوثائق التاريخية الهامة عن أوائل النصرانية ، وقد بطل استعمال القبطية كلغة تداول يومى) .

وكان الفتح العربى لمصر عاملاً مساعداً على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت منتشرة فى مصر فى ذلك الوقت . فأصبحت الدروس تقرأ فى الكنيسة باللغة القبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ، وبعد أقل من نصف قرن من الفتح تقريباً بدأ العرب يتجهون إلى تعريب البلاد وإلى جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية وذلك لعدم معرفتهم باللغة القبطية ، وقد بدئ فى تعريب الدواوين فى مصر سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م فى ولاية عبد الله بن عبد الملك ، مما اضطر المصريين العاملين فى دواوين الحكومة إلى تعلم اللغة العربية حفاظاً على الوظائف التى كانت بأيديهم [١] . وفى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بدأت اللغة القبطية فى الاضمحلال والتلاشى أمام اللغة العربية نتيجة لما حدث من إتمام حركة التعريب فى مصر [٢] .

وعلى الرغم من أن اللغة العربية أخذت فى الانتشار ، وأن المصريين

---

(١) **سيدة كاشف** : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٧٩ .
(٢) **زكى شنودة** : موسوعة تاريخ الأقباط ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ص ١٠ .

أقبلوا على تعليمها ، إلا أن عامة أهل مصر - على حد تعبير المقدسى - كانت لغتهم عربية ركيكة .. وذمتهم يتحدثون القبطية »[١] .

وكان القبط يتكلمون القبطية بلهجات متعددة ، فاللهجة البحرية كانت تستعمل فى الإسكندرية وما جاورها والدلتا ووادى النطرون ، ثم أصبحت هى اللهجة الرسمية للكنيسة القبطية منذ أن نقل البابا خريستودولوس البطريركية إلى القاهرة فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى[٢] .

ويذكر المقريزى أن نصارى قرى الصعيد الأعلى كانوا يتكلمون « القبطى الصعيدى » - اللهجة الصعيدية - وأن نساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا القبطية الصعيدية ، وأن لهم أيضاً معرفة باللغة الرومية « اليونانية »[٣] .

وكان من عادة نصارى « مدينة إسنا » أنهم كانوا يحضرون أفراح المسلمين ويطوفون فى أسواق المدينة وشوارعها أمام العرائس وهم يهللون ويغنون بعبارات قبطية صعيدية[٤] .

وفى الصعيد كانت هناك أيضاً لهجات قبطية فرعية مثل اللهجة الإخميمية التى كانت تستعمل فى « إخميم » ، واللهجة الأسيوطية التى كانت تستعمل فى أسيوط ، واللهجة الفيومية التى كانت تستعمل فى الفيوم . وأما فى شرق الدلتا فقد كان القبط يتحدثون باللهجة البشمورية[٥] .

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أخذ بعض علماء الأقباط يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية . فقد كتب البطريك الملكانى سعيد بن بطريق

---

(١) **المقدسى** : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .
(٢) **زكى شنودة** : المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٣) **المقريزى** : الخطط ، ج٢ ، ص ٥٠٥ - ٥٥٦ .
(٤) **جاك تاجر** : المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .
(٥) **زكى شنودة** : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١ .

(ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) كتابه فى التاريخ باللغة العربية ، كما أن ساويرس ابن المقفع (ت أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر القرن العاشر الميلادى) أسقف الأشمونيين كتب مؤلفه «سير الآباء البطاركة» باللغة العربية أيضاً ، هذا بجانب القيام بجمع الوثائق اليونانية والقبطية وترجمتها إلى العربية [١] .

* * *

وأصبح للأقباط فى ظل العرب نصيب كبير فى إدارة بلادهم ، لم يصلوا إليه قبل الفتح العربى . وقد كان فى الحكومة المركزية فى الفسطاط ، أو حلوان التى اتخذها عبد العزيز بن مروان حاضرة له - كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا (الوجه القبلى) ومصر السفلى (الوجه البحرى) وكان هؤلاء الكتاب أو الرؤساء المسيحيين تابعين للوالى بطبيعة الحال . وكان رؤساء المالية أقباطاً طوال العصر الأموى وكذلك كثير من حكام الكُوَر [٢] والمدن كانوا أقباطاً . ووَجَدَ قسم كبيرٌ من الأقباط أنّ من مصلحتهم الدخول فى الدين الإسلامى والتعرّب ، إمّا رغبةً فى الإبقاء على مناصبهم ، أو فِرَاراً من الضرائب المتزايدة عليهم ، أو هرباً من المضايقات الاجتماعية والأدبية .

كذلك نشأ عن سياسة بعض الخلفاء وولاتهم فى مصر أن زادت حركة التَّعْريب والدخول فى الإسلام .. فتمصَّرَ العربُ فى مصر ، وتعرَّبَ الأقباط بحيث تكوَّن الشعبُ المصرى الإسلامى .

والمعروف أن العرب بعد فتوحاتهم العظيمة ، وتفوُّقهم على شعوب لها حضارات عريقة ، وبعد استقرار أقدامهم فى البلاد المفتوحة ، بدأوا يشعرون بتفوُّق شعبهم على سائر الشعوب ، وبتفوق لغتهم ودينهم على سائر اللغات

---

(١) **سيدة كاشف** : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٨٠ .
(٢) **الكورة** : تقرب من المحافظة اليوم .

والأديان . ولم تكن هذه النزعة قويّةً فى السنوات الأولى للفتوحات العربية فى مصر وفى غيرها من البلدان المفتوحة ، فكان يغلب على العرب روحُ البساطة والتواضع ، ولكنها سرعان ما ازدادت وضوحاً ، وكان مثْلُهم فى ذلك مثْل اليونان ، والرومان ، من قبل .

وقد بدأ العربُ بعد فتح مصر بأقلَّ من نصْف قرن يتّجهون إلى تعريب البلاد ، وإلى جعل اللغة العربية لغة رسمية ، وذلك لعدم معرفتهم لِلُّغة القبطية . فحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) إحلال المسلمين محلَّ المسيحيين ، حتى فى الوظائف الصَّغيرة . وأرسل كتاباً يأمر فيه الأقباط بالتخلِّى عن أعمالهم فى الدولة ما داموا على دينهم . أما مَنْ يريد منهم الاحتفاظ بعمله فليكن على دين محمد [1] . كذلك استبعد عمَرُ بن عبد العزيز رؤساءَ الكُوَر الأقباط ، وأحلَّ محلهم المسلمين . وربّما أدّى قرار عُمَر بن عبد العزيز إلى إسلام كثيرين إذْ ذاك ؛ كى لا يتركوا مناصبهم .

مع أن القرار ذاته لا يمكن أن يكون قد استمر كثيراً بعد وفاته ؛ لأن الأقباط ظلوا يشغلون كثيراً من مناصب الدولة ، وظلّ بعضُ رؤساء الكُوَر ، والقرى يُخْتارون من القبط .

بل إننا نرى « الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان » الذى كان يلى كثيراً من أمور مصر فى ولاية أبيه (٦٥ - ٨٦هـ) يأمر بترجمة الإنجيل ، وعدّةَ كتب دينية مسيحية أخرى إلى اللغة العربية ، وذلك ليعرف المسلمون إذا كان فى هذه الكتب ما يمسُّ الإسلام بسوء . وقد حدث فعلاً أن عُرِّبت دواوينُ الدّولة الإسلامية فى ذلك الحين . إذ كانت الدواوين فى البلاد المفتوحة حتى مجىء عبد الملك بن مروان تكتب بلغات البلاد المحلية ، وكل عارف بأخبار أيام عمر ومعاوية يعلم أن الدواوين وقتئذ كانت بالشام كلها بالرومية وأن كتّاب الخراج ، والجباية ، والجند ، وسائر الأعمال السلطانية لم

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/٧١ - ٧٢ .

تكن تدوّن إلا بالقلم الرومى ، وكذلك كانت النقود رومية حتى زمن عبد الملك بن مروان ، أى بعد ست وسبعين سنة من الهجرة ، فكانت تتداول وعليها الصليب ، وصورة المسيح وأمه ، فلم يكن بد للعرب من كتّاب يجيدون فهم اليونانية المتداولة فى مصر والقبطية وتعريبها .

وكان ذلك طبيعياً لقلة خبرة العرب بأمور الإدارة ، ولأن الكتابة فنٌّ خاص . ولكن توسّع خبرة العرب ، واستقرار الدولة ، واتّجاهها نحو الوحدة المركزية أدّى إلى وجوب التعديل . فضلاً عن السياسة العربية التى سار عليها بنو أمية .

ومع ذلك ، فإن المؤرخين المسلمين يوردون أسباباً تافهة لتعريب الدواوين ، مثل تثاقُل كاتب ، أو خصام بين كاتبين إلى غير ذلك .

وقد شرع فى هذا التعريب أيام عبد الملك بن مروان ، وبدئ بتعريب دواوين الشام والعراق ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى صاحب اليد الطولى فى الأخذ بهذا التعريب ، فى العراق وما يتْبَعُها شرقاً .

أما فى مصر . فقد بُدئ تعريبُ دواوينها فى خلافة « الوليد بن عبد الملك » وذلك فى سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م فى ولاية « عبد الله بن عبد الملك » .

ولم تتم عمليّةُ التعّريب فى أنحاء الدّوْلة الإسلامية إلا بعد أن عُرِّبت دواوين خراسان فى أواخر الدولة الأموية ، وفى ولاية « نصر بن سيار » حوالى سنة ١٢٤هـ .

والواقع أن هذا التعريب كان عملية ترجمة منظمة وجبّارة !! وقد أدّى إلى نقل كثير من المصطلحات الفارسية ، واليونانية ، والقبطية ، إلى العربية ، وأصبحت الدولة من الناحية السياسية عربيّة بمعنىً أكْمَل ، وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالى والأقباط ، فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين . كما بدأت تظهر طبقة الكتّاب ، وأصبحت اللغة العربية لغة

الإدارة ، فضلاً عن أنها لغة الثقافة ، بالإضافة إلى أنها لغة السياسة والدِّين .

ولعل كثيراً من أهل مصر اضطروا إلى التخلى عن مناصبهم للعرب ، أو إلى المصريين الذين تعلّموا اللغة العربية ، وربّما دعاهم التغْرِيب إلى تعلُّم اللغة العربية ؛ كى يعودوا ثانية إلى المناصب التى فقدوها .

على كلٍّ .. كان للأقباط منذ الفتح ولع شديد بتقليد المسلمين فى كل شيء ، ولا سيما اللغة والأسماء والأزياء ، كما يستدل من شهادة أحد متقدميهم ، وهو صموئيل ، رئيس دير القلمون (ولد قبل الهجرة وأدرك أوائل فتح مصر) قال بلفظه مشيراً إلى تلك الأيام فى إحدى عظاته :

« ماذا أقول فى تلك الأزمنة ، وعِظَم الكسل الذى يلحق بالنصارى ، فإنهم فى ذلك الزمان يميلون كثيراً عن الاستقامة ، ويتشبّهون بالهجَرَة (الهاجريين) فى أعمالهم ، ويسموا أولادهم بأسمائهم ، ويتركوا أسماء الملائكة والأنبياء والرسل والشهداء ..

تجد النصارى يتركون لغتهم الحلوة ، ويفتخرون باللغة العربية وبأساميهم .

أقول لكم يا أولادى : الحقيقة أن الذين يتركون أسماء القديسين ، ويسمون أولادهم بالأسماء الغريبة الذى يفعل هذا ، يكون بعيداً من بركة القديسين[1] » .

والمعروف أن استيلاء العرب على مصر كان فاتحةً لهجراتٍ عربية متوالية ، دامت زمناً طويلاً ، وكانت أضعف الهجرات ، هجرة العرب أو الجند الذين أتوا

(١) حبيب الزيات . الأسماء والكنى والألقاب النصرانية (المشرق ٤٢/ ١ - ٢١ سنة ١٩٤٨).

مع عمرو بن العاص عند فتح البلاد ، وكان معظمهم من اليمنيين .

وأغلب الولاة الذين حكموا مصر بعد ذلك كانوا يصحبون معهم جيوشاً عربية ، حتى نهاية العصر الأموى ، أو عربية ومن شعوب أخرى غير العرب كالخرسانيين ، والأتراك فى العصر العباسى . والمعروف أن الجنود كان يصحبون معهم أسرهم .

وفى خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) حدث تطوُّرٌ فى تاريخ القبائل العربية فى مصر . ذلك أن عبيد الله بن الحبحاب ، عامل خراج مصر . وفد على الخليفة فى سنة ١٠٩هـ وسأله أن ينقل إلى مصر بيوتاً من قيْس ، أو عرب الشمال ، وكانوا أقلّية بها ، فأذن له الخليفة بذلك ، وجاء ابن الحبحاب بعدد كبير منهم بلغ حوالى ثلاثة آلاف عربى ، أنزلهم ابن الحبحاب بالحوف الشرقى فى شرقى الدلتا ناحية بلبيس ، وبسطة ، والعباسة ، وأمرهم بالاشتغال بالزراعة .

أى أن العرب فى زمن هشام بن عبد الملك أخذوا يتخلّون عن السياسة التى اتبعوها منذ الفتح ، وهى سياسة الترفّع عن الاختلاط بالأهالى ، وعن الاشتغال بالزراعة .

وقد ساعد وجودُ العرب فى القرى ، واشتغالهم بالزراعة على الاختلاط بالأهالى ، وكان لهذا الاختلاط أثره فى انتشار الإسلام ، واللغة العربية ، والتعريب ، نتيجة للتّزَاوُج بينهم ، وبين أهالى هذه البلاد .

وقد أخذَت القبائلُ العربية بعد ذلك تفد إلى مصر ، وتستقرّ فى القرى المصرية . على أن ازدياد القبائل العربية فى مصر ساعد على نشر الإسلام فى هذه القرى وتعريب المصريين أنفسهم .

ثم جاء قرار المعتصم العباسى الخليفة فى بداية القرن الثالث الهجرى ٢١٨هـ بإسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم ، فاضْطَرُّوا إلى الانتشار فى الرِّيف ، والاختلاط بالمصريين ، والتزوج من بناتهم ، والاشتغال

بالزراعة، والصناعة، والتجارة، وغير ذلك من الأعمال التى كانوا يترفّعون من قبل عن الاشتغال بها.

فكان هذا القرار الذى اتخذه المعتصم ضدَّ العرب، مِمّا أفاد الإسلام فى مصر، وساعد على نشر اللغة العربية بها، وقضائها على اللغة القبطية. وتمّت عمليةُ الاندماج بين العرب والمصريين، فأسلم الكثير من المصريين. وتبع انتشار الإسلام فيها انتشار اللغة العربية، فأصبحت لغة التخاطب ولغة الكتابة.. على أن انتشار اللغة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين الإسلامى فيها. وبالرغم من أن الدواوين عُرِّبَت رسميًا فى سنة ٨٧هـ / ٧٠٥ - ٧٠٦م إلا أن وثائق البردى تدل على أن الحكومة كانت تستخدم اللغة العربية، واليونانية، إلى القرن الثانى الهجرى، بينما كانت السلطات المحلّية فى الريف تكتب كثيراً بالقبطية، بل إنّه وجد إيصال بدفع الضرائب تاريخه سنة ٢٤٦هـ عليه كتابة قبطية.

وحين قدوم الخليفة المأمون إلى مصر، وحين أصبح للدين الإسلامى الغلبة فى مصر.. كانت اللغة القبطية لا تزال لغة التخاطب بين المصريين، فقد ذكر المقريزى[١] عند كلامه عن المأمون حين قدم إلى مصر «كان لا يمشى أبدًا إلا والتراجمة بين يديه من كل جنس».

ولم يبدأ القبط فى ترك لغتهم القبطية إلا فى أواخر القرن الرابع الهجرى[٢]، والعاشر الميلادى فنرى سعيد بن البطريق - كما ذكرنا - البطرك الملكانى يكتب كتابه «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» باللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى، ومثله ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين يؤرخ للبطاركة فى أواخر القرن الرابع الهجرى أيضاً فى كتابه «تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية» باللغة العربية، بل ويقوم بجمع الوثائق اليونانية، والقبطية، ويترجِمُها إلى العربية.. مما يدلّنا على أن اللغة العربية

---

(١) الخطط ٨١/١.
(٢) الخطط ٥١٨/٢.

أصبحت هى لغة الكلام، والتخاطب بين المصريين عامة أقباطا ومسلمين.

وقد بقيت اللغة القبطية محصورة بعد ذلك فى نطاق ضيق، يذكر المقريزى أن: «دُرُنكة كان أهلها من النصارى. يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم، وكبيرهم بها، ويفسرونها بالعربية[1]» وما زالت القبطية تدرَّس إلى اليوم كلغة من اللغات القديمة. وهناك بعض الألفاظ العاميّة التى نستعملها الآن ترجع إلى اللغة القبطية.

* * *

ولا ريب فى أن انتشار اللغة العربية فى مصر مِيزَةٌ للعرب على غيرهم من الفاتحين، فإن الشعوب المختلفة التى توالت على مصر قبل العرب لم تستطع القضاء على لغة المصريين. وهذه ظاهرة تستحق إمْعَانَ النظر، لأنّ تنازل شعبٍ عريقٍ فى المدنيّة كالشعب المصرى عن لغته، واتخاذه لغة شَعْب لا يوَازِيه فى الحضارة، أمر غير عادى.

وقد نقول: إن الذين اعتنقوا الدين الإسلامى تعلموا اللغة العربية لغة القرآن.

وقد نذكر: إن المصريين اضطروا إلى تعلم اللغة العربية لأنها أصبحت اللغة الرسمية للدواوين منذ سنة ٨٧هـ / ٧٠٥ - ٧٠٦م.

وقد نقول: إن اتصال العرب فى الفسطاط، والجيزة، والإسكندرية، بالأهلين، واتصال كبار الموظفين العرب وأعوانهم فى الريف بأهل القرى والنجوع كان له أثر فى التعريب.

لكن أهم عوامل تعريب مصر، كان نزول القبائل العربية فى الريف المصرى، واستقرارها على جانبى الشريط الخصب بوادى النيل، وفى

---

(١) راجع . متز . الحضارة الإسلامية ١/ ٨٩، وما أشار إليه من المراجع القديمة.

الدلتا .. مما أدى إلى اختلاطهم بالقبط اختلاطاً كبيراً ، ومن ثم إلى انتشار العربية فى مصر . وإلى تعريب البلاد .

فقد كانت اللغة اليونانية قبل الفتح العربى ، واللغة التركية فى العهد العثمانى ، لغة البلاد الرسمية ، ولكن هذا لم يجعلها لغة الشعب المصرى ، فكان اليونانيون ينزلون المدن ويصبغونها بحضارتهم ، ولكنّ نفوذَهم الثقافى لم يذهب للريف إلا قليلًا ، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا فى بيئات خاصة .. وعاش اليونانيون فى مصر كأنهم فى جُزُرٍ يونانية ، فى وسط المحيط المصرى الواسع . وكذلك عاش الأتراك فى بيئات خاصة فى مصر ، ولم يستطيعوا جعل لغتهم لغة البلاد الأصلية . بالرغم من أن الحكم التركى دام عدّةَ قرون .

لكن حدث فى عهْد العرب تَفَاعُلٌ واخْتلاطٌ ، وتزاوُج بينهم وبين المصريين .. وبدون هذا التّفاعل ، والاختلاط ، والتزاوج ، والإنجاب .. لا يمكننا أن نفسِّرَ كيف ترك الفلاح المصرى القديم لغَتَه ، رغم تمسّكهِ بالقديم وحِرْصهِ عليْه .

ولم يقف الأمر عند انتشار اللغة العربية .. بل إننا نجد مصر تشارك فى الحياة الأدبية العربية مشاركة تبدو واضحة منذ أواخر القرن الثانى الهجرى . وكان جامع عمرو بن العاص هو قلب هذه الحركة النابض ، كما هى الحال بالنسبة للأزهر الشريف الآن .

وقد أنجبت مصر منذ أواخر القرن الثانى وأوئل القرن الثالث الهجرى رجالَ أدب ، ودين ، ومؤرخين . أنتجوا بالعربية كما لو كانوا أبناءها . ومن علماء مصر المشهورين : « ورش » المقرئ الذى تحدَّر من أصل قبطى (ت ١٩٧هـ) وعبد الرحمن بن الحكم المؤرخ (ت ٢٥٧هـ) ، والربيع بن سليمان الجيزى تلميذ الشافعى (ت ٢٥٦هـ) ، و« سرج الغول » تلميذ الشافعى أيضاً ، وأبو عبد الله التجيبى النحوى وكان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب والتاريخ وعلوم الدين . وكان علماء مصر أساتذة لعلماء أفريقية ، والأندلس بوجه خاص .

وقد تسمى النصارى أيضاً باسم : أحمد . ومحمود ! ومنهم ماجد بن أحمد فخر الدين القبطى المعروف بابن زنبور صاحب الجيوش المنصورة . المتوفى سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م قال بعض المؤرخين : « والعجب من قبطىّ يسمى بأحمد ، وهكذا ابن زنبور يذكر أن اسم والده أحمد .. وكذلك كان يقال إن اسم والد أبى شاكر أحمد[1] » .

ومما قلد فيه الأقباطُ المسلمين كتابة البسملة القرآنية فى مفتتح كتبهم الدينية .

وعلى العموم : كانت مصر إحدى الأمم القليلة التى تخلّت نهائياً عن لغتها القومية ، ورمت بنفسها فى أحضان الإسلام والعربية ، والمدنية الإسلامية .

وهى بذلك تخالف إيران ، والهند اللّتَيْن لم يقْضِ فتحُ العرب على لغَتِهما القومية . كذلك لم يمنع اعتناق الأتراك للدِّين الإسلامى من الاحتفاظ بلغتهم القومية ، بل نرى الأندلس التى كانت تتمتع بحضارة إسلامية مزدَهِرة فى العصور الوسطى بعد فتح العرب لها .. تُغْلَب على أمرها فى أواخر العصور الوسطى وتعود ثانية دولة مسيحية الدين أجنبية اللغة . وبينما نرى الشاعر الوطنى « الفردوسى » فى إيران ينظم « الشهنامة » بالإيرانية المحْدَثَة فى القرن الرابع الهجرى .. نجد رجال الدين الأقباط فى مصر يكتبون فى القرن الرابع الهجرى باللغة العربية ، ويخاطبون أبناء دينهم بالعربية ، بعد أن أصبحت لغة التخاطب بينهم .

لكن اللغة القبطية ، وإن قل استعمالها إلا أنها تركت بعض الألفاظ التى اعتبرت بالنسبة للغة العربية ، أجنبية ، أو دخيلة . ثم إن بعض كلمات مصرية قديمة ، وسريانية ، وعبرية ، كانت موجودة من قبل ، فقد كان يقيم فى مصر قبل الفتح العربى وبعده جاليات متعددة بجوار القبط كالسريان ، واليونان ،

---

(١) حبيب الزيات . الأسماء والكنى والألقاب النصرانية (مجلة المشرق ١/٤٢ - ٢١ سنة ١٩٤٨) .

واليهود ، والإيرانيين ، ولكلٍّ من هؤلاء لغته الخاصة ، التى بقى منها ألفاظ بجانب الألفاظ القبطية الباقية ، مما أدى إلى وجود ألفاظ من هذه اللغات التى اعتبرت دخيلة على اللغة العربية وما يزال عامة الناس فى مصر يستعملونها إلى اليوم . وأصبح لدينا فى مصر لغة عربية فصحى ولغة عامية دخيلة ، مما أدى ببعض العلماء أن يضعوا معاجم للمعرب والدخيل على العربية ، لعل من أشهرهم الجواليقى المتوفى سنة ٥٠٤هـ أثبت فى كتابه « المعرّب من الكلام الأعجمى » الألفاظ الدخيلة من فارسية وآرامية والتى سميت بالأنباطية .

ويلاحظ أن الفتح العربى ساعد - أولاً - على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت هى اللغة الرسمية لمصر منْذُ عهد البطالسة .. فأصبحت الدروس الدينية فى الكنيسة تقرأ باللغة القبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية ، وتشرح بالقبطية أيضاً . وكذلك نجد أن البلاد والأقاليم التى سميت بأسماء يونانية أيام اليونان والرومان ، أصبحت تعرف بأسمائها القبطية التى ترجع إلى الأسماء المصرية القديمة . فمثلاً نجد اسم « إخميم » بدلاً من « بانوبوليس Panopolis» و« أهناسيا » بدلا من (Rlèraclèopolis) و« الأشمونيين » بدلًا من « Hermoplis» .

على أن هذا كله كان بعثاً لقديم لم يندثر تماماً ؛ فإن اللغة القبطية ، أو الأسماء المصرية كانت قد غُلِبت على أمرها حيناً من الدهر ، ثم استعادت مكانتها بعد الفتح العربى .

والمعروف أن الأسماء العربية لكثير من بلدان القطر المصرى الآن مأخوذة من الأسماء المصرية القديمة .

كما أننا لا نزال نستعمل فى وقتنا الحالى ألفاظاً عامية ترجع إلى اللغة المصرية القديمة ، وإلى اللغة القبطية التى اشتقت منها .. فمثلاً « دمنهور » و« بلبيس » و« رمسيس » أسماء مصرية . و« أبرشيّة » يونانية : وهى ولاية الأسقف . أى المنطقة التى يشرف عليها القسيس ، دخلت القبطية ثم العربية . « أبشواى » مصرية قديمة . ومعناها : مرتفع . وهى اسم مدينة

بمحافظة الفيوم . « أبو تيج » مصرية قديمة . بمعنى : مخزن . وصارت اسم مدينة فى الوجه القبلى . « أبو صير » مصرية قديمة أصلها « برصير » أى معبد الإله إزريس ، و « بر » : بمعنى معبد أو بيت أو ابن . « إدِّينى » قبطية بمعنى : أعطنى . أصلها : تى + نى = تى + بمعنى أعط . ونى : بمعنى أنا . « إخميم » مصرية قديمة بمعنى وجه الإله مين . « أرمنت » مصرية قديمة بمعنى : بنت الإله « منت » إله الحرب . « أسقف » يونانية بمعنى المشرف أو الملاحظ ، ودخلت القبطية بمعنى رئيس الكنيسة « أسيوط » مصرية قديمة . أصلها « سيوط » بمعنى الحارس . « أسوان » مصرية قديمة . بمعن سوق . « أشمونين » مصرية قديمة . أصلها مركز الثمانية آلهة . وباللغة القبطية « شمين » ثمانية . « إنْبُو » مصرية قديمة . بمعنى يشرب . « إنجيل » يونانية . بمعنى البشارة وهو الكتاب المقدّس عند المسيحيين . « أيقونة » قبطية . بمعنى صورة . « بامْيَة » قبطية . نوع من الخضروات « ويكا » . « بانوب » مصرية قديمة . ومعناها : الذهب . « بتّاو » مصرية قديمة . بمعنى خبز . « بح » مصرية قديمة بمعنى انتهى . « بحر » قبطية . « بخّ » قبطية بمعنى عفريت . « بشبش » مصرية . قبطية . بمعنى مبلول بالماء . وما زال الفلاح يقول : بشبش العيش أى طرية بالماء . « بصارة » مصرية قديمة . طعام من الفول المدشوش . « بعبع » قبطية . بمعنى عفريت أو شىء مخيف . « بقوطى » قبطية . بمعنى سَلّة . « بكّاش » مصرية قديمة . أى كثير الكلام . « كنيسة » قيل إنها سامية بمعنى المجتمع . موضع صلاة اليهود والنصارى .

ومثل هذا الكلمات التى تقرب من خمسة آلاف كلمة [1] نستعملها فى المنزل وفى الزراعة وفى أسماء الشهور القبطية .

وهذه كلها يعدّها علماء اللغة العربية من الألفاظ العامية . وبقاء كلمات من اللغة القبطية يعتبر بقاءً للغةٍ عاميّة بجوار اللغة العربية الفصحى .

---

(١) راجع السيد محمد عاشور (اللهجة العامية فى مصر) .

أسماء[1] بطاركة الكنيسة المصرية منذ تأسيسها إلى اليوم، وأسماء الملوك والسلاطين المعاصرين لهم

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
١	مرقس الرسول	٦١	٨	٧	نيرون، وفسباسيانوس.
٢	أنيانوس	٦٤	٧	٢٢	فسباسيانوس، وطيطس، ودومتيانوس.
٣	ميليوس (أبيليوس)	٨٦	٩	١٢	دومتيانوس، ونرفا، وتراجان
٤	كردونوس	٩٩	٩	١٠	تراجان، وأدريانوس.
٥	بريمِوس	١١٢	١	١٢	أدريانوس.
٦	يسطس	١٢٤	١٠	١٠	أدريانوس، وأنطونيوس.
٧	أومانيوس	١٣٥	٣	١١	أنطونيوس.
٨	مريانوس	١٤٩	٢	٩	أنطونيوس، ومرقس أوريليوس.
٩	كلاديانوس	١٥٥	٦	١٤	مرقس أوريليوس.
١٠	أغريبنوس	١٦٩	٧	١١	مرقس أوريليوس، وكمودوس.
١١	يوليانوس	١٨١	١	١٠	كمودوس، وبرتيناكس، ويوليانوس، وساويرس.
١٢	ديمتريوس	١٩١	٧	٣٢	ساويرس، وكركلا، وماكرينوس،

(١) قد ترك القس أبو البركان بن كبر ضمن مؤلفاته بياناً بتاريخ ارتقاء البطاركة. كما وضع جودشمث وغيره من المؤرخين بيانات أخرى قارنها جميعها «شين» فى كتابه:

(M. Chaine) La Chronologie des Temps Chètiens de l'Egypte et de l'Ethiopie. Paris 1925.

وقد ظهرت فروق فى سنى حكم بعض البطاركة عند المقريزى فى الكتاب الذى بين يديك، وعند غيره. ولكنا فضلنا نشر البيان الوارد بكتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين لأنه هو المعتمد فى الكنيسة القبطية.

وكان مرجعى فى ذكر الآباء البطاركة ما سجله الأستاذ مرقص سميكة باشا. مؤسس المتحف القبطى وأمينه فى كتابه «دليل المتحف القبطى» وما ذكره الأمير عمر طوسون فى كتابه: «وادى النطرون ورهبانه وأديرته. ومختصر تاريخ البطاركة» وما ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية. وتاريخ الكنيسة القبطية، للقس. نسى يوحنا. ط: مكتبة المحبة سنة ١٩٨٣م.

وليلاحظ القارئ والباحث أن منطوق الأسماء عند المقريزى قد يتباين ويختلف فى بعض الحروف عما هو مذكور هنا.

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					وهليوجبالوس، وساويرس إسكندر.
١٣	ياركلاس	٢٢٤	١	١٦	ساويرس إسكندر، ومكسيميانوس، وبوبيانوس، وجورديانوس، وفيلبس.
١٤	ديونيسيوس	٢٤١	٩	١٩	ديسا، وجالوس، وفاليريانوس، وجاليانوس، وكالوديوس.
١٥	مكسيموس	٢٦٢	٧	١٢	كلوديوس، وأوريليانوس، وتاسيتوس، وفلوريانوس، ويروبوس.
١٦	تاونا	٢٧٤	٩	٩	كاروس، ونيومريانوس، ودقلديانوس.
١٧	بطرس خاتم الشهداء	٢٨٥	١١	١٠	دقلديانوس.
١٨	أرشلاوس	٢٩٥	٦	–	دقلديانوس.
١٩	ألكسندروس	٢٩٥	١٠	٢٢	دقلديانوس، وكونستانس، وجاليريوس، وقسطنطين الأول.
٢٠	أثاسيوس الرسولي	٣١٨	–	٤٦	قسطنطين الأول، وليسينيوس، وقسطنطين الثاني، وكونستانتوس، وكونستانس الثاني، ويوليانوس، وجوفيانوس، وفالنس.
٢١	بطرس الثاني	٣٦٤	٩	٥	فالنس.
٢٢	تيموثاوس	٣٧٠	٥	٦	غراديانوس فالانتيانوس.
٢٣	تاوفيلس	٣٧٦	٢	٢٧	فالانتيانوس، وتاودوسيوس، وأرقاديوس، وتاودسيوس الثاني.
٢٤	كيرلس الكبير	٤٠٤	٨	٣١	تاودوسيوس الثاني.
٢٥	ديسقورس	٤٣٥	٢	١٤	تاودوسيوس الثاني، ومرسيانوس.
٢٦	تيموثاوس الثاني ..	٤٥٠	١١	٢٢	لاون الأول، ولاون الصغير، وزينون.

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
٢٧	بطرس الثالث	٤٧٢	٣	٨	زينون .
٢٨	أثناسيوس الثاني ...	٤٨١	١٠	٦	زينون ، وأنسطاسيوس .
٢٩	يوحنا الراهب	٤٨٨	٧	٨	أنسطاسيوس .
٣٠	يوحنا الثاني	٤٩٧	–	١١	أنسطاسيوس .
٣١	ديسقورس الثاني ..	٥٠٨	٤	٢	أنسطاسيوس ، ويوسطانيوس .
٣٢	تيموثاوس الثالث ..	٥١١	٤	١٧	يوسطانيوس ، ويوسطنيانوس .
٣٣	تاودوسيوس	٥٢٨	٤	٣١	يوسطنيانوس ، ويوسطانيوس الثاني .
٣٤	بطرس الرابع	٥٥٩	–	٢	يوسطانيوس الثاني .
٣٥	داميانوس	٥٦٣	١١	٣٥	يوسطانيوس الثاني ، وطيباريوس ، وموريس ، وفوقا .
٣٦	أنسطاسيوس	٥٩٨	٦	١٢	فوقا ، وهرقل .
٣٧	أندرونيقوس	٦١١	–	٦	هرقل .
٣٨	بنيامين	٦١٧	–	٣٩	هرقل ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والحسن بن على ، ومعاوية بن أبى سفيان .
٣٩	أغاثو	٦٥٦	٩	١٦	معاوية بن أبى سفيان .
٤٠	يوحنا الثالث	٦٧٣	١	٨	يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان .
٤١	إسحاق	٦٨١	١١	٢	عبد الملك بن مروان .
٤٢	سيماون – السورى– الأول	٦٨٤	٨	٧	عبد الملك بن مروان .
٤٣	الإسكندروس الثاني	٦٩٥	٩	٢٤	عبد الملك بن مروان ، والوليد ابن عبد الملك ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد وهشام .
٤٤	قسما الأول	٧٢٠	٤	١	هشام .
٤٥	تاودوروس	٧٢١	٧	١١	هشام .
٤٦	خائيل الأول	٧٣٥	٦	٢٣	هشام بن عبد الملك ، والوليد ابن يزيد بن الوليد ،

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					وإبراهيم، ومروان، وعبد الله أبو العباس السفاح، وعبد الله أبو جعفر المنصور.
٤٧	مينا	٧٥٨	١٠	٨	عبد الله أبو جعفر المنصور، ومحمد بن منصور المهدى.
٤٨	يوحنا الرابع	٧٦٨	–	٢٢	محمد بن منصور المهدى، وموسى بن مهدى، الهادى، وهارون الرشيد.
٤٩	مرقس الثانى	٧٩٠	٣	٢٠	هارون الرشيد، والأمين، والمأمون.
٥٠	يعقوب	٨١٠	٩	١٠	المأمون.
٥١	سيماون الثانى	٨٢١	٧	–	المأمون.
٥٢	يوسف (يوساب)	٨٢٣	١١	١٧	المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.
٥٣	خاليل الثانى	٨٤١	٤	١	المتوكل.
٥٤	قسما الثانى	٨٤٢	٧	٧	المتوكل.
٥٥	سانوتيوس الأول «شنودة»	٨٥٠	٣	١١	المتوكل، والمستنصر، والمستعين.
٥٦	خائيل الثالث	٨٦١	١	٢٥	المهتدى، والمعتمد، وأحمد ابن طولون، وخمرويه، وهارون بن أبى موسى، وشعبان بن أحمد، والمكتفى.
٥٧	غبريال الأول	٩٠٠	–	١١	جعفر بن المقتدر.
٥٨	قسما الثالث	٩١١	–	١٢	جعفر بن المقتدر.
٥٩	مقاره الأول	٩٢٣	–	٢٠	محمد الراضى، ومحمد الإخشيدى، وأبو القاسم الإخشيدى.
٦٠	تاوفيانوس	٩٤٣	٨	٤	أبو القاسم الإخشيدى.
٦١	مينا الثانى	٩٤٨	١١	١٧	أبو القاسم الإخشيدى، وأبو الحسن على الإخشيدى، وكافور أبو المسك، وأبو الفوارس، والمعز.
٦٢	أبرام (إبراهيم)	٩٦٨	٦	٣	المعز، والعزيز.

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
	السورى)				
٦٣	فيلوتاوس	٩٧١	٧	٢٤	العزيز، والحاكم بأمر الله.
٦٤	زخارياس «زكريا»	٩٩٦	١١	٢٧	الحاكم بأمر الله، والظاهر.
٦٥	سانوتيوس الثانى «شنودة»	١٠٢٤	٧	١٤	الظاهر، والمستنصر.
٦٦	خرستودولوس	١٠٣٩	٨	٢٩	المستنصر.
٦٧	كيرلس الثانى	١٠٧٠	٦	١٤	المستنصر.
٦٨	خائيل الرابع	١٠٨٤	٧	٢٩	المستنصر، والمستعلى.
٦٩	مقاره الثانى	١٠٩٤	١	٢٧	الآمر.
٧٠	غبريال الثانى	١١٢٢	٣	١٤	الحافظ.
٧١	ميخائيل الخامس ...	١١٣٦	٩	—	الحافظ، والظافر.
٧٢	يوحنا الخامس	١١٣٨	١٠	١٨	الظافر، والفائز.
٧٣	مرقس الثالث	١١٥٧	٦	٢٢	العادل، وصلاح الدين.
٧٤	يوحنا السادس	١١٨٠	١١	٢٦	صلاح الدين، والعزيز، والمنصور العادل.
٧٥	كيرلس الثالث	١٢٢٦	٩	٧	الكامل، والعادل، والصالح، والمعظم.
٧٦	أثناسيوس الثالث ...	١٢٤٢	١	١١	شجرة الدر، وموسى الأشرف، والمعتز، والمظفر قطز، وركن الدين بيبرس.
٧٧	غبريال الثالث	١٢٦١	٢	٢	ركن الدين الظاهر بيبرس.
٧٨	يوحنا السابع	١٢٦٣	—	٢٩	السعيد ناصر الدين، والعادل، وقلاوون، والأشرف، ومحمد بن قلاوون الناصر.
٧٩	تاودوسيوس الثانى .	١٢٨٦	٧	٦	العادل، والمنصور، ومحمد ابن قلاوون.
٨٠	يوحنا الثامن	١٢٩٢	٣	٢٠	محمد بن قلاوون، والمظفر، ومحمد بن قلاوون.
٨١	يوحنا التاسع	١٣١٢	٥	٦	محمد بن قلاوون.
٨٢	بنيامين الثانى	١٣١٩	٨	١١	محمد بن قلاوون.
٨٣	بطرس الخامس	١٣٣٢	٦	٨	أبو بكر المنصور، وعلاء الدين الأشرف، وأحمد الناصر، وإسماعيل الصالح، وشعبان

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					الكامل، وابن ناصر المظفر، وحسن بن ناصر الناصر.
٨٤	مرقس الرابع	١٣٤٢	٥	١٤	صالح بن ناصر الصالح، وحسن بن ناصر الناصر، ومحمد بن المنصور.
٨٥	يوحنا العاشر	١٣٥٦	٢	٦	شعبان بن حسن الأشرف.
٨٦	غبريال الرابع	١٣٦٢	٣	٨	شعبان بن حسن الأشرف، وعلى بن شعبان المنصور.
٨٧	متاوس الأول	١٣٧٠	٥	٣٠	على بن شعبان المنصور، وابن شعبان الصالح، وبرقوق، وفرج بن برقوق الناصر، وعبد العزيز برقوق.
٨٨	غبريال الخامس	١٤٠١	٨	١٩	فرج بن برقوق الناصر، والمستعين، والمؤيد، والمظفر، وتترسيف الدين الظاهر، ونصر الدين الصالح، وأبو النصر الأشرف.
٨٩	يوحنا الحادى عشر	١٤٢٠	١١	٢٤	أبو النصر الأشرف، ويوسف جمال الدين العزيز، وأبو سعيد الظاهر، وعثمان فخر الدين المنصور.
٩٠	متاوس الثانى	١٤٤٥	–	١٣	إينال أبو النصر الأشرف، وأحمد بن إينال المؤيد، وخشقادم سيف الدين الظاهر.
٩١	غبريال السادس ...	١٤٥٨	١٠	٨	ابن سعيد الظاهر، وأبو سعيد الظاهر، وقايدباى أبو النصر الأشرف.
٩٢	ميخائيل السادس ..	١٤٦٩	–	١	قايدباى.
٩٣	يوحنا الثاني عشر	١٤٧٢	٤	٣	قايدباى.
٩٤	يوحنا الثالث عشر	١٤٧٥	١٠	٤٠	قايدباى، ومحمد الناصر، وقانصوة الأشرف، وقانصوة الظاهر، وطومان باى

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي		الملوك المعاصرون له
			شهرا	سنة	
					العادل ، وقانصوة الغورى ، وطومان الأشرف .
٩٥	غبريال السابع	١٥١٨	–	٤٣	قانصوة الأشرف .
٩٦	يوحنا الرابع عشر	١٥٦٥	٤	١٥	سليم الثاني .
٩٧	غبريال الثامن	١٥٨٢	–	١١	سليم الثاني ، ومحمد الثالث .
٩٨	مرقس الخامس	١٦٠٢	–	١١	أحمد الأول ، ومصطفى الأول ، وعثمان .
٩٩	يوحنا الخامس عشر	١٦١٣	–	١٠	مصطفى الأول ، ومراد الرابع .
١٠٠	متاوس الثالث	١٦٢٣	–	١٠	مراد الرابع ، وإبراهيم .
١٠١	مرقس السادس ...	١٦٤٢	–	١٠	محمد الرابع .
١٠٢	متاوس الرابع	١٦٥٢	٨	١٤	محمد الرابع .
١٠٣	يوحنا السادس عشر	١٦٦٨	٣	٤٢	محمد الرابع ، وسليمان الثاني ، وأحمد الثاني ، ومصطفى الثاني ، وأحمد الثالث .
١٠٤	بطرس السادس ...	١٧١٠	٦	٧	أحمد الثالث .
١٠٥	يوحنا السابع عشر	١٧١٩	٣	١٨	أحمد الثالث ، ومحمود .
١٠٦	مرقس السابع	١٧٣٧	–	٢٤	محمود ، وعثمان الثالث ، ومصطفى الثالث .
١٠٧	يوحنا الثامن عشر	١٧٦٢	٧	٢٦	على بك الكبير .
١٠٨	مرقس الثامن	١٧٨٩	٢	١٣	على بك الكبير .
١٠٩	بطرس السابع	١٨٠٢	٣	٤٢	محمد على ، وإبراهيم باشا .
١١٠	كيرلس الرابع	١٨٤٧	٨	٥	عباس باشا ، وسعيد باشا .
١١١	ديمتريوس الثاني	١٨٥٤	٧	٧	إسماعيل باشا .
١١٢	كيرلس الخامس	١٨٦٧	٩	٥٣	إسماعيل باشا ، وتوفيق باشا ، وعباس باشا ، والسلطان حسين ، والملك فؤاد الأول .
١١٣	يؤانس (يوحنا) ...	١٩٢١	٦	٤	الملك فؤاد الأول .
١١٤	مكاريوس الثالث ...	١٩٤٤	٦	١	الملك فؤاد ، والملك فاروق .
١١٥	يوساب الثاني	١٩٤٦	٤	١٠	الرئيسين : محمد نجيب ، وجمال عبد الناصر .
١١٦	كيرلس السادس ...	١٩٥٩	١٠	١١	الرئيس جمال عبد الناصر .
١١٧	شنودة الثالث	١٩٧١	البطريرك الحالى		الرئيسين : أنور السادات ، وحسنى مبارك .

ويدعو بعد ذلك الكوكب فيقال عند القمر عند عطارد عند الزهرة عند الشمس
عند المريخ عند المشتري عند زحل فإذا وقفوا جميعا قال الناظر لأحدهم أين
صاحبك فيقول في برج كذا درجة كذا دقيقة كذا ثم يقول للآخر كذلك
جميعه حتى يأتي على جميعهم ويعرف أماكن الكواكب من تلك البروج ويقول للملك

[illegible]

الصفحة رقم ٣٥٠ من المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت)

الصفحة رقم ٣٥١ من المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت)